الإمام الداودي: حياته الشخصية والعلمية

د. خالد بن زيان | جامعة حسيبة بن بوعلي، الشلف

kaledbenziane@gmail.com

الملخص

هذا البحث يتناول عَلَمًا من أعلام الجزائر، وهو أبو جعفر أحمد بن نصر الدّاودي (ت402هـ)، حوى ترجمةً مفصّلةً لأهمّ محطّات حياته، ومآثره، ومواقفه، وقد اعتمدت الدراسة على المنهجين الوصفي والتحليلي في جمع المادة العلمية من المصادر والمراجع، وترتيبها والتعليق عليها.

وخلص البحث إلى نتائج، نذكر منها: الإمام الداودي لم يكن عديم الشيوخ، رغم أنّه كان عصاميًّا في أغلب تحصيله للعلوم، كما أنّ تراثه العلمي تعرّض أغلبه للضّياع بسبب الظروف السياسية التي عرفتها بلاد المغرب الإسلامي في حقبة العبيديين، وربما أيضًا بسبب موقفه من الإقامة في القيروان في ظلّ حكم العبيديين.

وقد وصلتنا عناوين كتبه، وكذلك وقفنا على مئات الاستشهادات بأقواله وفتاويه، فيما بين أيدينا من الكتب؛ ما يدلّ على تبحّر واسع، وعلم زاخر في شتى الفنون، نرجو أن تكشف خزائن المخطوطات ومظانها عموما عن كتب الداودي مستقبلا، ليقوم الباحثون بتحقيقها وإخراجها.

الكلمات المفتاحية: الدّاودي ، حياته الشخصية، آثاره العلمية.

EL DAOUDI: His Biography and Scientific Heritage

Dr. Khaled Benziane | Hassiba Ben Bouali University, Chlef.

Abstract:

This research discusses one of the prominent figures in Algeria, Abu Ja'far Ahmad bin Nasr al-Dawudi (d. 402 AH), and provides a detailed biography of his life, accomplishments, and positions. The study relied on both descriptive and analytical methods in collecting and arranging scientific material from sources and references and commenting on them.

The research concluded several results, including that despite being a proficient scholar, al-Dawudi was not devoid of teachers, and that his scientific heritage has been lost due to political circumstances in the Islamic Maghreb during the Almohad era and his residency in Kairouan under Almohad rule. The titles of his books and hundreds of citations of his sayings and fatwas have reached us, indicating his extensive knowledge in various fields. It is hoped that future discoveries of his manuscripts and writings will reveal more of his work for researchers to study and publish.

Key words: el daoudi, biography, scientific heritage.

مقدّمة:

إنّ في تاريخ بلادنا العلميّ رجالاً عظماء، برعوا في فنونٍ من العلوم والمعارف الشّرعية، ولكن ظروف وأسباب حالت دون شهرتهم، فبقوا في زوايا النّسيان لا يكاد يعرفهم أحد، ولم يكن لهم من الشهرة والذّيوع ما كان لغيرهم من أقرانهم أو معاصريهم.

ولذا كانت الحاجةُ ماسّةً لتوجيه عناية الباحثين إلى خدمة تراجم علماء الجزائر، وأن نزيح عنهم الإهمال والتقصير في حقّهم، ونقدّم تراثهم للأجيال القادمة، وأن نحيي ما اندرس من علومهم.

وسأحاول في هذه الورقة البحثية تسليط الضوء على أحد أعلام الجزائر، وهو: أبو جعفر أحمد بن نصر الداودي المسيلي التلمساني (ت402هـ)[1].

فمن هو الإمام الدّاودي؟ وللإجابة على هذا السّؤال؛ لا بدّ من عرض ترجمة موسَّعة تحتوي جملةً من الفوائد عن حياة الداودي، وشخصيته العلمية، وسأكشف اللّثام عن جوانبَ خفيّة من حياته، كعِصَاميّته في طلب العلم، ودخوله القيروان، وآثاره العلمية.

وقد اعتمدتُ في إعداد هذه الترجمة 34 مصدرًا ومرجعًا، فالببليوغرافيا هي عماد البحث العلمي، يحتاجها الباحث منذ بدء التفكير في بحثه، فمنها يتعرّف على أهمية بحثه وموضوعه، وما كتب فيه. وعندما عزمتُ على الكتابة في موضوع ترجمة الإمام الدَّاوُدِيّ، بدا لي أنّ أهمّ ما يجب أن أقف عليه؛ هو حجم ما كتب عن هذ الإمام.

وقد رأيتُ من الواجب عليّ أن أجمع ثَبْتاً ببليوغرافيًّا من شأنه أن يوفّر على الباحثين بعدي في ترجمة الدَّاوُدِيّ الوقت والجهد، وقد ذكرت 26 مؤلّفاً وبحثًا تناول ترجمة الدَّاوُدِيّ، هي كالآتي:

1. القاضي عياض، ترتيب المدارك: 3/ 623.
2. القاضي عياض، الغنية (فهرست شيوخ القاضي عياض): ص172-173.
3. الذهبي، تاريخ الإسلام: 56/28.
4. ابن الأبار، التكملة لكتاب الصّلة: 132/1.
5. ابن فرحون، الدّيباج المذهب في أعيان المذهب: 35/1.

(1) وردت ترجمة الدَّاوُدِيّ أساسًا في كتاب «ترتيب المدارك» للقاضي عياض، ثمّ كتاب «النّجم الثاقب» لابن أبي صعد التلمساني، وكلّ ما كتبه المؤلّفون في ترجمتهم للدّاودي؛ اعتمدوا فيه على ترجمة القاضي عياض، الذي يبعد قرنًا من الزّمان من وفاة الدَّاوُدِيّ، وإذا أخذنا بعين الاعتبار أنّ القاضي عياض وُلد سنة 476هـ، وأنّه لم يحمل العلم في حداثته؛ نجد فراغًا زمنيًّا بين حياة الدَّاوُدِيّ والمصادر التي ترجمت له، لم يترك لنا من تفاصيل حياته إلاّ النّزر اليسير، فلم يبق لنا من طريق للتعرّف عليه أكثر، إلاّ آثاره ومؤلّفاته، وجمع أقواله ومروياّته، في ثنايا كتب أهل العلم.

6. ابن صعد التلمساني، النّجم الثاقب فيما لأولياء الله من مفاخر المناقب: ص127.
7. المقّري، نفح الطّيب من غصن الأندلس الرّطيب: 433/5.
8. أحمد النّائب الأنصاري، نفحات النّسرين والرّيحان فيمن كان بطرابلس من الأعيان: ص70-71.
9. مخلوف، شجرة النّور الزكية: 111/1.
10. ابن عبد السلام الأموي، التعريف بالرّجال المذكورين في جامع الأمّهات: ص213.
11. التنبتكي، نيل الابتهاج بهامش الدّيباج: ص85-86.
12. الكتّاني، مدرسة الإمام البخاري في المغرب: 567/2، 569، 579.
13. عبد الحي الكتاني، التراتيب الإدارية: 48/1.
14. الزركلي، الأعلام: 264/1.
15. فؤاد سزكين، تاريخ التراث العربي: 162/2.
16. فؤاد سيّد، فهرس المخطوطات المصوّرة: 14/1، 278.
17. كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربي: 132/3.
18. عمر رضا كحالة، معجم المؤلّفين: 194/2.
19. محمد الحسن الثعالبي الحجوي، الفكر السّامي في تاريخ الفقه الإسلامي: 126/3.
20. أبو القاسم الحفناوي، تعريف الخلف برجال السّلف: 568/2.
21. عبد الوهاب بلمنصور، أعلام المغرب العربي: 403/4.
22. عبد العزيز بنعبد الله، الموسوعة المغربية للأعلام البشرية والحضارية: 156/3.
23. أحمد محمد عمر، النشاط الثقافي في ليبيا: ص140.
24. دليل المؤلّفين العرب اللّيبيين: ص79.
25. إحسان عبّاس، تاريخ ليبيا من الفتح العربي: ص212.
26. طاهر أحمد الزواوي الطرابلسي، أعلام ليبيا: ص49.

المطلب الأوّل: اسمه، وكنيته، وشهرته، ونسبته.

أوّلا: اسمه وكنيته وشهرته

أمّا اسمه فهو: أحمد بن نصر الدَّاوُدِيّ الأسدي (الأزدي) الأموي الطرابلسي المسيلي البسكري التلمساني من أئمة المالكية.

وأمّا كنيته فهي: أبو جعفر، وتكاد تتفق كلمة المترجمين في اسمه وكنيته[1].

وأمّا شهرته؛ فإنّ جميع المصادر التي ترجمت للدّاودي، والتي أمكن الرّجوع إليها، لم تذكر شيئًا عن شهرته، إلّا أنّ بعضها قد أشار إلى مكان ولادته ونشأته. فقد ترجم القاضي عياض في مداركه للدّاودي فقال، بعد أن ذكر اسمه: «أصله من المسيلة، وقيل: من بسكرة، كان بأطرابلس»[2]، فهو إذا «مسيلي»، نسبةً إلى مدينة «المسيلة» التي وُلد بها، ويحتمل أن يكون قد أمضى فيها بعض الوقت قبل أن يتّخذ من «طرابلس» مستقرًّا له، ونجد من المترجمين من نسبه بـ «الطرابلسي»، منهم ابن مخلوف (ت1360هـ)[3]، وقال الشيخ عبد الرحمن الجيلالي: «سكن طرابلس الغرب»[4]، وقال عبد العزيز عبد الله في موسوعته: «وقد قرأ بطرابلس»[5]، وزاد عادل نويهض فقال: «أقام بطرابلس الغرب مدّةً طلبًا للعلم»[6].

ثانيا: نسبته

اختلف المترجمون في نسبة الدَّاوُدِي، فقيل: الدَّاوُدِيّ، التلمساني، والمسيلي، والبسكري، والطرابلسي، والأموي، والأسدي، والأزدي.

وهذه النّسبة توجب علينا الرّجوع إلى المصادر الأصلية كلّما أمكن ذلك؛ لأنّ النّاقلين أفهامُهم تختلف، وهذا تحقيق نسبته على التّرتيب التّالي:

---

(1) كنّاه الزركلي بأبي حفص، وهو غير صحيح. انظر: الزركلي، خير الدين بن محمود (ت1396هـ)، ***الأعلام***، ط15، دار العلم للملايين، 2002م: 264/1.

(2) عياض، أبو الفضل بن موسى اليحصبي السبتي (ت544هـ)، ***ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك***، تحقيق: ابن تاويت الطنجي وآخرون، ط1، مطبعة فضالة، المحمدية، المغرب: 102/7.

(3) مخلوف، محمد، ***شجرة النور الزكية في طبقات المالكية***، المطبعة السلفية، القاهرة، مصر، 1349هـ: ص110.

(4) الجيلالي، عبد الرحمن، ***تاريخ الجزائر العامّ***، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1400هـ/1980م: 272/1.

(5) أبو فارس، حمزة، ***أحمد بن نصر الدَّاوُدِيّ الطرابلسي الفقيه المحدّث: حياته وآثاره، مع تذييل ببعض فتاويه***: ص530، ضمن (أعمال ندوة التواصل الثقافي بين أقطار المغرب العربي).

(6) عادل نويهض، ***معجم أعلام الجزائر***، ط2، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت، لبنان، 1400هـ: 16/ 46.

1. الدَّاوُدِيّ:

اتّفقت المصادر في التعريف به على أنّه الدَّاوُدِيّ، ولكن إلى من ينتسب؟ وهل ترجع هذه النّسبة إلى داود الظاهري (ت270هـ)، الذي انتسب عددٌ من العلماء إليه؟ قال السمعاني (ت562هـ) في الأنساب: «مادة: الدَّاوُدِيّ؛ بفتح الدّال المهملة، والألف، والواو المضمومة، بين الدّالين المهملتين، هذه النّسبة إلى مذهب داود، واسم داود. فأمّا المذهب؛ جماعة انتحلوا مذهب أبي سليمان داود بن علي الأصبهاني؛ إمام أهل الظاهر، وفقيههم، وفيهم كثرة»[1].

وهذا قولٌ بعيدٌ؛ لأنّ الرّجل كان من شيوخ المالكية، وقد خدم المذهب تدريسًا وتأليفًا، ولم يرد في ترجمته أنّه كان له شأنٌ مع المذهب الظاهري، في أيّ طور من أطوار حياته، فالأقرب أن ترجع هذه النّسبة إلى أحد أصوله أو أجداده.

ويحتمل أن يكون داود هذا الذي ينتسب إليه المؤلّف هو جدّه المباشر، ولذا أغفلت المصادر ذكره عقب ذكر اسمه، اكتفاءً بهذه النّسبة[2]، وذكر السّمعاني ممّن نُسب إلى أحد آبائه داود: سليمان بن محمّد بن داود الأديب الدَّاوُدِيّ، والإمام عبد الرّحمن بن محمّد بن المظفّر الدَّاوُدِيّ الفوشنجي، وسليمان بن داود بن محمد الصّيدلاني الدَّاوُدِيّ. وأيضًا ممّن نُسب إلى أحد آبائه داود: أحمد بن نصر الدَّاوُدِيّ المالكي شارح صحيح البخاري[3].

ومن الطرائف أنّ أحد العلماء أو المتعلّمين المعاصرين للشيخ أحمد بن علي الزَقَّاق؛ سأله ثلاثة أسئلة: أحدها من الدَّاوُدِيّ المذكور في قول –الفقيه المالكي المشهور– في صفة العِدَّة: «وقد اختلف النّاس فيها جميعًا –يعني المرتابة والمستحاضة–؛ قال عكرمة وقتادة والشافعي: عدّة المستحاضة ثلاثة أشهر، وذكر الدَّاوُدِيّ في النّصيحة قولاً آخر: أنّها تعتدّ بستّة أشهر ... –إلى آخر كلامه–»، قال السّائل: المسألة الثانية: هذا الدَّاوُدِيّ، هل هو ظاهري أو مِنْ أهل مذهبنا؟ فأجابه الزَقَّاق بقوله: «وأمّا السّؤال الثاني؛ فجوابه أنّ الدَّاوُدِيّ المذكور؛ هو أبو جعفر أحمد بن نصر الدَّاوُدِيّ المالكي، كان بطرابلس ... إلى آخر كلامه»[4].

---

(1) السّمعاني، عبد الكريم بن محمد بن منصور (ت562هـ)، ***كتاب الأنساب***، تحقيق: عبد الرحمن بن يحي المعلّمي، ط1، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الهند، 1382هـ/1962م: ص294.

(2) ذكر عبد العزيز دخّان أنّه سُمّي الدَّاوُدِيّ نسبة إلى الدواودة (أو الزواودة، أو الذواودة)، الذين كانوا يقيمون بهذه المنطقة من الجزائر. انظر: دخّان، عبد العزيز، ***الإمام أحمد بن نصر الدَّاوُدِيّ محدّثًا وفقيهًا***، ط1، مكتبة الصحابة، الشارقة، 2008م: ص42–43.

(3) المصدر نفسه: ص294.

(4) ***أعمال ندوة التواصل الثقافي بين أقطار المغرب العربي: تنقّلات العلماء والكتب***، أيّام: 20، 23 ديسمبر 1995، مراجعة وتقديم: عبد الحميد عبد الله الهرّامة، كلية الدّعوة الإسلامية، الجماهيرية العظمى، طرابلس: ص532.

2. المسيلي:

وهو أيضا المسيلي، فهو من المسيلة[1]، وهي التي كانت تسمّى قديمًا «المحمّدية»، نسبةً إلى من بناها، وهو أبو القاسم محمّد بن عبيد الله العبيدي الشّيعي (ت322هـ)[2].

وقد جزم القاضي عياض بنسبته إلى المسيلة، وقد نسبه ابن خير الإشبيلي (ت575هـ) في فهرسته إلى المسيلة، فقال: «أبو جعفر أحمد بن نصر الدَّاوُدِيّ الفقيه المالكي من أهل المسيلة»[3].

وهناك ما يدلّ على أنّه حدّث بالمسيلة قبل أن يخرج منها إلى طرابلس، ففي ترجمة أحد تلامذته، وهو أحمد بن محمّد بن عبيدة، المعروف بابن ميمون، أنّه سمع من أبي جعفر بالمسيلة[4].

3. الطرابلسي:

وهو أيضا الطرابلسي، فقد عاش بعض السّنوات من عمره بطرابلس[5] الغرب، الواقعة في ليبيا، طالبًا للعلم، ثمّ شيخًا ينشر العلم بين طلاّبه. قال ابن فرحون (ت799هـ): «وبها أصل كتابه في شرح الموطّأ»[6]، وهو الكتاب المسمّى: «النّامي في شرح موطّأ مالك»، ومن المؤكّد أنّه قد اتّخذ من طرابلس سكنًا له.

4. التلمساني:

وهو أيضا التلمساني بحكم النّشأة والوفاة. قال أبو القاسم حاتم بن محمّد الطرابلسي (ت469هـ): «وكان أبو جعفر الدَّاوُدِيّ –حين دخلت إلى المشرق– حيًّا بتلمسان، فلم يمكنّي لقاؤه، لتغرّب الطريق من الجهة التي خرجت إليها من البحر»[7].

---

(1) المسيلة: مدينة من مدن الشرق الجزائري. انظر: مجموعة من العلماء والباحثين، ***الموسوعة العالمية العربية***، ط2، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، 1419هـ/1999م: 308/8.

(2) الحقيقة أنّ الذي بنى المسيلة هو علي بن حمدون أبو جعفر، بأمر من الخليفة العبيدي أبي القاسم، هذا الذي ذكرته كثيرٌ من المصادر، وهو الصّحيح، ثمّ ورثه ابنه على حكمها باسم العبيديين. انظر: الذهبي، أبو عبد الله محمّد بن أحمد (ت748هـ)، ***تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام***، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1407هـ/1987م: 213/6.

(3) ابن خير الإشبيلي، أبوبكر محمد (ت575هـ)، ***فهرسة ابن خير الإشبيلي***، تحقيق: محمّد فؤاد منصور، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1419–1998م: ص76.

(4) ابن بشكوال، أبو القاسم خلف بن عبد الملك (ت578هـ)، ***الصلة في تاريخ أئمة الأندلس***، تحقيق: إبراهيم الأبياري، ط1، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1410هـ/1989م: 52/1.

(5) طرابلس عاصمة ليبيا الآن. انظر: الموسوعة العالمية العربية: 260/8.

(6) ابن فرحون، إبراهيم بن علي اليعمري (ت799هـ)، ***الدّيباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب***، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان: 35/1.

(7) ابن خير، فهرسة ابن خير الأشبيلي: ص76.

وجاء في نوازل الشريف العلمي (ت1332هـ)، عن أبي العبّاس أحمد بن علي الزقَّاق (ت764هـ) قال: «كان بطرابلس، ثمّ انتقل إلى تلمسان، وبها ألّف كُتُبًا كثيرة، منها النّصيحة في شرح كتاب البخاري»[1].

ولعلّ الذي جعل الدَّاوُدِيّ يتجاوز القيروان[2] ليقيم في تلمسان[3]؛ أنّ القيروان وقتها، كانت في حكم العبيديين، وأمّا تلمسان فكانت خارج سلطتهم، وكانت أيضًا أوفر حظًّا من حيث الأمن والاستقرار، وهذا السّر في تصنيفه لأغلب كتبه، وفي مقدّمتها كتابه الذي حاز به الشّرف والشّهرة، ألا وهو: «النّصيحة في شرح صحيح البخاري»، و«كتاب الأموال»، وغيرها من الكتب الأخرى، ولم تذكر كتب التراجم السّنة التي خرج فيها، من طرابلس، ولا السّنة التي دخل فيها تلمسان[4].

5. البسكري:

نسبةً إلى مدينة «بسكرة»، التي ذكر بعض المترجمين أنّه وُلد بها، في واحة «لِيَّانَة»، إذْ يوجد مسجد ومقبرة يحملان اسمه هناك[5]. قال زهير الزاهري أحد تلاميذ ابن باديس في دراسة له حول الدَّاوُدِيّ: «هو من لِيَّانة (ولاية بسكرة)، ولأهله مقبرة ببسكْرة مثل لِيَّانَة، ومسجد جامع ببسّكرة، وهو ليّاني المولد، بسّكري الإقامة، مسيلي الإمارة، تلمساني المدفن»[6].

6. الأسدي (الأزدي):

أمّا نسبة الأسدي[7]، وقد ذكرها عددٌ من الذين ترجموا له، وتذكر بالزاي (الأزدي)، كما قال الذهبي[8].

---

(1) الحفناوي، أبو القاسم محمد بن الشيخ بن أبي القاسم الديسي (ت1360هـ)، ***تعريف الخلف برجال السلف***، مطبعة بيير فونتانة الشرقية، الجزائر، 1906م: 568/2.

(2) القيروان مدينة تاريخية عريقة من مدن تونس، انظر: الموسوعة العالمية العربية: 316/8.

(3) تلمسان مدينة من مدن الغرب الجزائري، انظر: الموسوعة العالمية العربية: 308/8.

(4) وقد رجّح أحد الباحثين أن يكون انتقاله إلى تلمسان في أواسط القرن الرابع الهجري، لا يتعدّى سنة 362هـ، تاريخ انتقال آخر خليفة فاطمي. انظر: سبع قادة، ***المذهب المالكي بالمغرب الأوسط حتى منتصف القرن الخامس الهجري (11م)***، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2003م–2004م: ص124.

(5) يحي بوعزيز، ***أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة***، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1995م: 30/1.

(6) ليّانة عبر التّاريخ، تقديم: فوزي مصمودي، جريدة الشعب، العدد 11065، بتاريخ: الثلاثاء 30 جويلية 1996م.

(7) نسبة إلى بني أسد؛ القبيلة العربية المشهورة. الذهبي، تاريخ الإسلام: 56/28.

(8) الذهبي، تاريخ الإسلام: 56/28.

ويبدو رجوع هذه النسبة إلى إحدى القبائل المسمّاة «بني أسد»[1] ، وعلى هذا الاعتبار؛ فهو عربيّ الأصل.

7. الأموي:

أمّا نسبة الأموي؛ فلا توجد في جميع مصادر ترجمته، وقد ذكرها أحمد النّائب الأنصاري (ت1163هـ)، قال في ترجمته نقلاً عن مختصر المدارك: «الأموي»[2].

بناء على ما سبق، وفي ضوء المصادر المذكورة؛ نستطيع أن نقول: اسمه الكامل هو: أبو جعفر أحمد بن نصر الدَّاوُدِيّ، المسيلي، الطرابلسي، التلمساني، الأسدي، الأموي، المالكي.

قال محمّد المختار اسكندر: «أبو جعفر أحمد بن نصر الدَّاوُدِيّ التلمساني، وقيل: إنّ أصله من المسيلة، وقيل: من بسكرة، فعلى كلّ هو من الجزائر، فهذا العبقري بحقّ هو فخر الجزائر على مدى العصور والدّهور، لما امتاز به من جلائل الأعمال، وكريم الخصال، وقلّما تجتمع في نابغة وعبقريّ مثل ما اجتمعت في هذه الشخصية، وهذا العبقري النّادر»[3].

ختامًا لهذا المطلب؛ يحسن بيان الخلط والتصحيف[4] الذي وقع في ترجمة الدَّاوُدِيّ. وقد تتبّع عبد العزيز الصّغير دخّان بعض هذه الأخطاء[5]، وسأوردها مختصرة لبيان هذا الخلط:

---

(1) وعلى الرّغم من أنّ هذه القبيلة لم تنتقل إلى الشمال الإفريقي؛ فإنّه لا مانع من رحيل أفرادها إلى أجداد الدَّاوُدِيّ، وقد حدّدت بعض الرّوايات عدد العرب الدّاخلين في الشمال الإفريقي بما يقرب من ربع مليون عربي. انظر: حسن علي حسن، ***الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس (عصر المرابطين)***، ط1، مكتبة الخانجي، مصر، 1980م: ص319.

(2) الأنصاري، أحمد بن الحسين النّائب، ***نفحات النّسرين والرّيحان فيمن كان بطرابلس من الأعيان***، تقديم وتعليق: محمّد زينهم، محمّد عزب، دار الفرجاني: ص71-72.

(3) اسكندر، محمد المختار، ***المفسّرون الجزائريون عبر القرون***، مطبعة دحلب، الجزائر، د.ت: 61/1.

(4) التصحيف: هو تغيير اللّفظ، حتّى يتغيّر المعنى المراد، وأصله الخطأ: يقال صحّفه، فتصحّف، أي غَيَّره، فتغيّر حتّى التبس، والتصحيف في الاصطلاح: اختلف فيه على قولين: قيل: هو كلّ تغيير في الكلمة، سواء بسبب اختلاف النّقط، أو الشّكل، أو بتبديل حرف بحرف، أو كلمة بكلمة، وهذا الذي جرى عليه اصطلاح أغلب المحدّثين قبل ابن حجر في الكفاية، والحاكم في معرفة علوم الحديث، والنووي في التقريب، وابن الصّلاح وغيرهم. أمّا ابن حجر ومن تابعه؛ فقد ذهبوا إلى أنّ التصحيف خاصّ بتبديل الكلمة بكلمة أخرى تشابهها في الخطّ، وتخالفها في النقط، وذلك كتبديل الغدر بالعذر، والخطب بالحطب. انظر: مجموعة من الباحثين، ***الموسوعة الفقهية الكويتية***، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، (من 1404هـ إلى 1427هـ): 189/10، 199.

(5) دخان، عبد العزيز، ***موسوعة الإمام العلاّمة أحمد بن نصر الدَّاوُدِيّ المسيلي التلمساني المالكي، في اللغة والحديث والتفسير والفقه***، ط1، دار المعرفة الدولية: 46/1-47. وقد استفدتُ كثيراً من هذه الموسوعة، وكذلك من ملاحظاته وتوجيهاته عبر الهاتف، فجزاه الله خيرًا.

1. خلط محقّقوا الذّخيرة للقرافي المالكي؛ الأساتذة الفضلاء: محمّد حجي، وسعيد أعراب، ومحمّد بوخبزة، حيث خلطوا بينه وبين أبي الحسن عبد الرّحمن بن محمّد البوشنجي الدَّاوُدِيّ الشافعي (ت467هـ)، والفرق بينهما شاسع.

2. ما كتبه الأستاذ إبراهيم الأبياري على هامش الصّلة لابن بشكوال[1]، عند ذكر الدَّاوُدِيّ في جملة مشايخ الإمام المشهور ابن الفرضي، فقد نسبه المحقّق فقال: وأحمد بن نصر الدَّاوُدِيّ (هكذا)، ثمّ علّق في الهامش: كذا في خ الدّاوري، براء مهملة، نسبة داور: ناحية سجستان (لبّ اللّباب: 102، معجم البلدان: 541/2)، فقد جانب المحقّق الصّواب في كنية الدَّاوُدِيّ، متابعةً لمعجم البلدان.

3. محقّق كتاب «درّة الغوّاص في محاضرة الخواصّ»، لابن فرحون، وهو محمّد أبو الأجفان رحمه الله، حيث ترجم للدّاودي الآخر، في حين أنّ ابن فرحون نسب ما ذكره عن الدَّاوُدِيّ في أغلب المواضع إلى كتاب الأصول، وهو كتاب مذكورٌ في مؤلّفات الإمام أبي جعفر الدَّاوُدِيّ المسيلي.

4. محقّق كتاب الإكمال، إذ ترجم في: 602/1 للدّاودي الشافعي، وهو أبو الحسن عبد الرحمن بن محمّد، ظنًّا منه أنّه هو، والصّواب أنّه الدَّاوُدِيّ المالكي، ثمّ تكرّر منه ذلك في: 322/2، إذْ جعله داوديًّا آخر، وهو ابن المغلس (ت324هـ).

5. وقد وقع تصحيفٌ وتحريفٌ لاسم الدَّاوُدِيّ إلى الدّاوري، وذلك في شرح النّووي، وهو تصحيف من النّساخ؛ لأنّه لا يوجد في جميع الطبعات.

6. وتحرّف إلى (الدّؤادي)، وذلك في شرح النّووي أيضا: 120/13.

7. وتحرّف إلى الدّاروردي، وذلك في مصابيح الجامع للدّماميني: 335/3، والمفهم للقرطبي: 2876/5.

8. وتحرّف إلى (الدّاؤودي)، وذلك في هميان الزاد: 102/2، وتحرّف إلى الدّوادي، في هميان الزّاد أيضا: 490/3.

9. وتحرّف إلى (الدّاؤدي) في عون المعبود شرح سنن أبي داود: 446/7.

10. وتحرّف إلى الروادي، وذلك في كتاب الأدب الدّفاعي والجدلي، لشتاينشيندر (steuscneider.H)، وذلك أثناء حديثه عن كتاب الأموال للدّاودي.

11. وتحرّف إلى أبو داود، وذلك في مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح: 295/17.

(1) ابن بشكوال، الصّلة: 392/1.

12. وتحرّف اسم الدَّاوُدِيّ: أحمد بن نصر إلى أحمد بن منصور، وذلك في كتاب الإكمال للقاضي عياض: 337/1 (طبعة دار الوفاء، تحقيق : إسماعيل يحي)[1].

13. قد يخلط بعض المعاصرين بين الإمام أبي جعفر أحمد بن نصر الدَّاوُدِيّ (ت402هـ) والدَّاوُدِيّ (ت945هـ) شمس الدّين محمّد بن عليّ بن أحمد، صاحب طبقات المفسّرين، والفرق الزمني بينهما شاسعٌ، على الرغم من تشابههما في النّسبة (الدَّاوُدِيّ).

14. وهناك داوديٌّ تلمسانيٌّ آخر، هو أبو عبد الله الحاج الدَّاوُدِيّ العربي (ت1270هـ)[2].

المطلب الثاني: مولده ونشأته وتعليمه ورحلاته العلمية

أوّلاً: مولده ونشأته

لم تتحدّث المصادر التي ترجمت للدَّاوُدِيّ شيئًا عن مولده ونشأته، ولا شكّ أنّه وُلد كغيره من أبناء منطقته، وأمّا عن نشأته[3]؛ فإنّ كتب التّراجم لم تنقل لنا كذلك شيئًا عن ذلك، ولا عن أسرته، وإنّ سكوت المصادر عن نشأته يدلّنا على أنّها نشأة عادية، كباقي أقرانه من أبناء عصره، على بدء تعليمه بحفظ القرآن الكريم، وشيء من السّنة النّبوية، وقواعد اللّغة العربية، وقد توسّع في الطّلب بعد ذلك، فبدأ بدراسة الفقه المالكي حتّى برع فيه، كما درس علوم الحديث حتّى برع فيها، وممّا يدلّ على ذلك إقدامه بعد ذلك على شرح صحيح البخاري، في كتاب من تأليفه، وقد درس في هذه المرحلة علم الكلام، ممّا أهّله لكي يردّ على القدرية، ويدافع عن عقيدة أهل السّنة، في كتاب ألّفه لذلك[4].

هذا؛ وقد أهملت بعض المصادر الهامّة للتراجم المغاربية، ذكر ترجمة الدَّاوُدِيّ، ككتاب «الصّلة» لابن بشكوال (ت578هـ)، وكتاب «جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس» للحميدي (ت488هـ)، وكتاب «معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان» للدبّاغ (ت699هـ)، وذلك للتعليل التالي:

1. لم يترجم ابن بشكوال للدّاودي، وإنْ ذكره كثيرًا، وذلك لذكر شيوخه وتلاميذه الذين رَوَوا عنه وأجازهم في كثير من مؤلّفاته، وقد التزم ابن بشكوال فيمن ترجم لهم من العلماء، الذين عاشوا في الأندلس أو رحلوا عنها أو جاؤوا إليها، وليس هذا إغفالاً للدّاودي، ولكن التزامًا بالمنهج الذي اتّبعه.

(1) انظر: دخان، موسوعة الإمام العلاّمة أحمد بن نصر الدَّاوُدِيّ: 46/1-47.

(2) الحفناوي، تعريف الخلف برجال السّلف: 113/2.

(3) سكت المترجمون عن الحديث عن نشأته، وهذا ليس غريبًا، فقد أهملت كتب التراجم الكلام عن نشأة أكبر العلماء، وعذرهم في ذلك أنّ نشأة العالم تتمثّل في تلقّيه العلم.

(4) العبادي، أحمد المختار، ***سياسة الفاطميين نحو المغرب***، صحيفة المعهد المصري، مدريد، 1957م: ص193.

2. التزم الحميدي بتراجم علماء الأندلس وولاتها، ولم يترجم لغيرهم.

3. التزم الدّباغ أن يترجم لعلماء القيروان.

ثانيا :تعليمه ورحلاته العلمية

1. تعليمه:

لقد لاحظت في كلّ المصادر والمراجع التي قرأتُ فيها عن حياة الدَّاوُدِيّ؛ أنّه كان عصاميًّا، إذ اعتمد في دراسته على مطالعاته، وإرادته الشخصية في حبّ العلم والتّعلم، ولقد ذكر القاضي عياض –وتبعه على ذلك من نقل عنه كابن فرحون– جملةً جديرةً بالمناقشة والتحليل، ذكر أنّ الدَّاوُدِيّ كان بطرابلس، ومن هناك أنكر على علماء القيروان عدم خروجهم منها عندما سيطر عليها العبيديُّون، ولكنّ علماء القيروان كان لهم رأي آخر، فقد أجابوه: «اسكت! لا شيخ لك»[1].

ثمّ بيّن القاضي عياض هذه الجملة بقوله: «أي لأنّ درسه كان وحده، ولم يفقّهه في أكثر علمه على إمام مشهور، وإنّما وصل إلى ما وصل بإدراكه، ويشيرون أنّه لوكان له شيخ يفقّهه حقيقة الفقه لعلم أنّ بقاءهم مع من هناك من عامّة المسلمين تثبيت لهم على الإسلام، وبقية صالحة للإيمان، وأنّه لو خرج العلماء عن إفريقية لتشرّق[2] من بقي فيها من العامّة، الألف والآلاف، فرجّحوا خير الشرّين»[3].

ونقل الونشريسي (ت914هـ) عن عياض قوله: «بأنّ الدَّاوُدِيّ مقارب المعرفة في العلوم، وأنّ علمه كان بنظره واجتهاده، وغير متلقّى عن الشيوخ، وقد عابه بذلك أهل زمانه»[4].

والحقيقة أنّ عصامية الإمام الدَّاوُدِيّ تحتاج إلى وقفات وتأمّلات، خاصّة وأنّه عاش في عصر الرّواية، والرّحلة في طلب الحديث، والأسانيد العالية. فالغرابة كبيرة، والدّهشة عظيمة، عندما نعلم أنّ له طلاّبًا، ولم يذكر مترجموه أنّ له شيخًا واحدًا! ومن هذه الوقفات ما يلي:

– أنّ المترجمين ذكروا أنّه لم يتفقّه في أكثر علمه، إذن درس بعض علمه على إمام مشهور، ولكن من هو؟

(1) ابن فرحون، الدّيباج المذهب: 35/1.

(2) كان علماء المغرب يلقّبون العبيديين بالمشارقة لقدومهم من المشرق، ويقولون عمّن يتابع العبيديين على مذهبهم إنّه تشرّق. انظر: ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم الجزري (ت630هـ)، ***الكامل في التاريخ***، تحقيق: عبد الله القاضي، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، 1415هـ: 114/8.

(3) عياض، ترتيب المدارك: 623/3.

(4) مخلوف، شجرة النور: ص82.

– أنّ كتبه حصل لها قبول عجيب، فقد أودعها العلماء فهارسهم وبرامجهم، ومعروف أنّهم خصوصًا في ذلك الزّمن (القرن 4 و5 الهجري)؛ كانوا حريصين على اتّصال السّند، فكيف يسمع خلقٌ من العلماء الأفذاذ، ويأتون من أمكنة قاصية، فيمكثون سنوات طويلة يسمعون من شيخ؛ لم يأخذ علمه عن أئمة مشهورين.

– ما قاله عياض جاء تفسيرًا، أو محاولةً لتفسير ما ردّ به علماء القيروان على الدَّاوُدِيّ، عندما انتقد مكوثهم في حكم العبيديين، وعدم هجرتهم، قائلين له: «اسكت! لا شيخ لك»، وهذه العبارة تحتمل معاني كثيرة. ويكفينا حجّةً قول عياض نفسه: «في أكثر علمه»، فمفهومه أنّه درس في بعض علمه على إمام مشهور، ومع ذلك لم يذكره عياض، ولا غيره.

– كان المشرق في القرن الرّابع في أوج ازدهار العلم، وكثرة العلماء، وكانت الرّحلة في ذلك العصر شرفًا لكلّ طالب علم، فكيف يرحل أقرانه ولا يرحل هو، وهو أقرب منهم إلى بلاد المشرق؟ وإلاّ فما الذي يجعله يترك بلده المسيلة، ويذهب إلى طرابلس، وهي في أقصى الشّرق بالنّسبة للمسيلة؟

– لعلّ الخلاف الذي كان بين الدَّاوُدِيّ وعلماء القيروان؛ قد أرخى بسدوله على حياته، ودفع به إلى دائرة النّسيان، وفي تاريخنا علماء مغمورين، ولم يكن لهم تلك الشهرة التي كانت لأقرانهم؛ لاعتبارات سياسية وعقدية ومذهبية. ولعلّ مثال الإمام أبي الحسن محمّد بن علي القابسي القيرواني[1] يشير إلى ذلك، فقد عُرف أنّه أوّل من أدخل صحيح البخاري إلى بلاد المغرب على الرّاجح، وذلك سنة 357هـ، وقد توفّي القابسي سنة 403هـ، أي: بعد سنة واحدة من وفاة الدَّاوُدِيّ، وهذا يعني أنّهما كانا قرينين، ويدلّ على ذلك أنّ الدَّاوُدِيّ والقابسي قد شاركا ابن أبي زيد القيرواني (ولد 310هـ وتوفي 386هـ) في بعض تلاميذه، فابن الفرضي مثلاً من جملة تلاميذ الدَّاوُدِي، وهو أيضا تلميذ لابن أبي زيد القيرواني، وأبي الحسن القابسي. والإمام أبو الحسن القابسي القيرواني قد تربّع على عرش الرواية في القيروان، وكان له فيها شأن، وأصبح إمامًا مشهورًا، وأمّا إمامنا الدَّاوُدِيّ؛ فقد دخل دائرة النّسيان، والله المستعان.

– أنّ العصامية في طلب العلم في زمن الرّواية والرّحلة ليست منقبة يمدح بها صاحبها، أو يستحقّ التقدير والتنويه، بل كان العالم الذي لا يرحل يعرّض نفسه للقدح فيه، والزّهد في الرّواية عنه، قال يحي بن معين (ت233هـ): «ثلاثةٌ لا تؤنس منهم رشدا ... –وذكر منهم– ورجلٌ يطلب علم أهل بلده ولا يرحل»[2].

(1) انظر ترجمته في: الذهبي، أبو عبد الله محمّد بن أحمد (ت748هـ)، ***تذكرة الحفاظ***، دار إحياء التراث العربي، بيروت: 3/186–187.

(2) الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي (ت463هـ)، ***الرحلة في طلب الحديث***، تحقيق: نور الدين عتر، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1395هـ: ص89.

– أنّ القاضي عياض لم يرحل أيضًا، ومع ذلك فلا يتردّد أحد في الجزم بكثرة شيوخه، الذين أخذ عنهم الحديث عند مرورهم على مدينة سبتة[1]، ذاهبين من الأندلس إلى بلاد المشرق، أو قافلين من المشرق إلى الأندلس[2]. وقد ترجم الحافظ الذهبي لأبي عليّ الغسّاني الجيّاني محدّث الأندلس بقوله: «ولم يخرج من الأندلس، وكان من جهابذة الحفّاظ البصراء، بصيرًا بالعربية واللّغة والشّعر والأنساب، صنّف في ذلك كلّه، ورحل النّاس إليه، وعوّلوا في النّقل عليه، وتصدّر بجامع قرطبة، وأخذ عنه الأعلام»[3].

– اطرابلس مستقرّ الدَّاوُدِيّ، وكان يقيم بها عددٌ من كبار العلماء، كأبي الحسن عليّ بن أحمد بن زكرياء المعروف بابن ذكوان (ت370هـ)، وهو محدّث كبير له مؤلّفات في الحديث والرّجال، وله سماع وسند عال، وكان من تلاميذه أبو الحسن القابسي، قرين الدَّاوُدِيّ. ولعلّ من العلماء الكبار الذين أقرؤوا العلم بطرابلس؛ أبو محمّد عبد الله بن أبي هاشم بن مسرور التجيبي، المعروف بابن الحجّام (ت346هـ)[4]، وهو من العلماء الذين أخذ عنهم أبو الحسن القابسي، وأبو محمّد[5] عبد الله بن أبي زيد القيرواني[6]، فأولى بالدَّاوُدِيّ أن يحرص على التتلمذ على أيديهم، والأخذ عنهم، والله أعلم.

2. رحلاته العلمية:

وأمّا بالنسبة لرحلاته العلمية؛ فنظراً لشحّ المصادر، وقلّة من ترجم للإمام الدَّاوُدِيّ ترجمةً مفصّلة؛ يصعب على الباحث الجزم بصحّة أو خطأ كثير من المعلومات عن رحلات الدَّاوُدِيّ العلمية، فلا يسعنا إلاّ الاحتمال، وذكر الرّوايات، وفتح الباب للدّارسين والمحقّقين، لكشف كثير من نقاط الظّل، في مسيرة هذا الإمام العظيم.

---

(1) سبتة: مدينة من مدن المغرب الأقصى، محتلّة تحت السيطرة الإسبانية الآن، وهي بلدة مشهورة من قواعد المغرب العربي، وهي على برّ البربر تقابل جزيرة الأندلس، انظر: الحموي، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي (ت626هـ)، ***معجم البلدان***، دار الفكر، بيروت: 206/3، رقم: 6233.

(2) محمّد بن القاضي عياض، **التعريف بالقاضي عياض**، تحقيق: محمد بن شريفة، ط2، وزارة الأوقاف المغربية، 1402هـ: ص100.

(3) الذهبي، تذكرة الحفّاظ: 1233/4. وانظر: الذهبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت748هـ)، ***سير أعلام النّبلاء***، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، محمد نعيم العرقسوسي، ط9، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1413هـ: 148/19.

(4) عبد الله بن مسرور التُّجيبي مولاهم، شيخ المالكية بالقيروان، أبو محمّد، عُرف بابن الحجّام، إمام كبير توفّي سنة 346هـ. قال أبو الحسن القابسي (ت403هـ): «ترك سبع قناطير كتب، كلّها بخطّ يده، فقيل أخذها السلطان العبيدي، ومنع النّاس منها، كيدًا للإسلام»، الذهبي، سير أعلام النبلاء: 2/30.

(5) إمام المالكية بالقيروان، وإذا أطلق الشيخ أبو محمّد عند المالكية كان هو المعني به، له الرّسالة الفقهية، والنّوادر والزيادات، وغيرها. انظر: عياض، ترتيب المدارك: 492/3؛ ابن فرحون، الدّيباج المذهب: 427/1.

(6) الدبّاغ، عبد الرحمن بن محمد الأنصاري، ***معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان***، ط2، مكتبة الخانجي، مصر، المكتبة العتيقة، تونس، 1388هـ: 57/3.

إنّ رحلة الدَّاوُدِيّ العلمية بدأت بالمسيلة، ثمّ انتقل إلى طرابلس، وانتهى به المطاف في تلمسان، إذْ مات هناك. وقد سبق أن ذكرنا أنّ المرحلة الأولى من حياته كانت بطرابلس، حيث كان طلبه للعلم، واشتدّ عوده في المعرفة، مع اقتحامه ميدان التّأليف، فكان بها تأصيل كتابه: «النّامي في شرح موطأ الإمام مالك»، وإملاؤه على طلبته، ليتّجه بعد ذلك إلى تلمسان، حسبما يذكره جمهور المترجمين له، إذْ ألّف بها كتبًا كثيرة، وفي مقدّمتها كتابه الذي حاز به الشّرف والشّهرة، وهو «النّصيحة في شرح صحيح البخاري»، وكتاب «الأموال»، وغيرها من الكتب الأخرى، كما لا يبعد رحلته إلى مصر التي لم تكن بعيدة عن طرابلس، وكانت في تلك الأيام تعجّ بفحول علماء الحديث، من أمثال الحافظ الكبير حمزة بن محمّد الكناني (ت357هـ)، وأبي بكر محمّد بن سلمان النّعالي (ت380هـ)، وهومن شيوخ الدَّاوُدِيّ.

ولعلّ من الرحلات التي أشارت إليها النقول عن الدَّاوُدِيّ: رحلته إلى المشرق، ورحلته إلى الحجّ، ورحلته إلى القيروان، وبيانها كالآتي.

أ. رحلته إلى المشرق:

يرى بعض المحقّقين أنّ الدَّاوُدِيّ قد رحل إلى المشرق[1]. جاء في كتاب الصّلة لابن بشكوال في ترجمة بعض الأعلام جملةٌ من النقول التي يحتاج الباحثون للوقوف عليها، حيث تشير إلى سفر الإمام الدَّاوُدِيّ إلى المشرق، ومنها ما يلي:

– جاء في ترجمة أحمد بن محمّد بن ملاس الفزاري: «من أهل إشبيلية، يكنى: أبا القاسم، له رحلة إلى المشرق لقي فيها أبا الحسن بن جهضم، وأبا جعفر الدَّاوُدِيّ، وأخذ عنهما وعن غيرهما»[2].

– في ترجمة راشد بن إبراهيم بن عبد الله بن راشد: «من أهل قرطبة، يكنى: أبا عبد الملك، له رحلة إلى المشرق، وكتب فيها عن أبي يعقوب يوسف بن أحمد المكي، وأبي القاسم السقطي، وأبي جعفر الدَّاوُدِيّ، وأبي الفضل بن أبي عمران المقري وغيرهم»[3]. ويجدر بنا التنبيه إلى أنّ المشرق قد يقصد به طرابلس، لوقوعها شرق الأندلس، فهي مشرق.

(1) ذهب إلى هذا محقّق كتاب مجالس القضاة والحكّام، ص:249. مجالس القضاة والحكّام والتّنبيه والإعلام فيما أفتاه المفتون وحكم به القضاة من الأوهام، للقاضي أبي عبد الله المكناسي (ت917هـ)، تحقيق: نعيم عبد العزيز سالم الكيثري، ط1، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، دبي، 1423هـ/2002م، وأحال على الدّيباج، والتّرجمان المعرب للتسولي، وهو مخطوط، (المكتبة الوطنية بتونس، رقم: 53355).

(2) ابن بشكوال، الصّلة: 17/1.

(3) المصدر نفسه: 59/1.

– وجاء في ترجمة عبد الرحيم بن عبد الله بن خالص الأموي: «من أهل طليطلة، يكنى أبا محمّد، له رحلة إلى المشرق، روى فيها عن أبي جعفر الدَّاوُدِيّ، وغيره»[1].

– وفي ترجمة كامل بن أحمد بن يوسف القادسي: «يُكْنى أبا الحسن، ويُعرف بابن الأفطس، وهو من أهل قادس، وسكن إشبيلية، وله رحلة إلى المشرق، روى فيها عن أبي جعفر الدَّاوُدِيّ»[2].

– وجاء في ترجمة مروان بن علي الأسدي القطّان: «من أهل قرطبة، يُكنى أبا عبد الملك، ويُعرف بالبوني، وهو خال أبي عمر القطّان الفقيه فيما أخبرني به أبو الحسن بن مغيث، روى بقرطبة عن أبي محمّد الأصيلي، والقاضي أبي المطرّف عبد الرحمن بن محمّد بن فطيس وغيرهما، ورَحَلَ إلى المشرق، وأخذ عن أبي الحسن القابسي، وأبي جعفر أحمد بن نصر بن الدَّاوُدِيّ، وصحبه مدّة خمسة أعوام، وأخذ عنه معظم ما عنده من روايته وتواليفه، وله كتاب مختصر في تفسير الموطّأ، هو كثير بأيدي النّاس»[3].

ب. رحلته إلى الحجّ:

جاء في ترجمة هشام بن عبد الرّحمن بن عبد الله: «يُعرف بابن الصّابوني: من أهل قرطبة، يُكنى: أبا الوليد، رحل إلى المشرق فأدّى الفريضة، وروى هناك عن أبي الحسن القابسي، وأبي الفضل الهروي، وعن أبي القاسم بن علي بن إبراهيم التميمي الدهكي البغدادي، وعن أبي جعفر أحمد بن نصر الدَّاوُدِيّ، وغيرهم ...»[4]. لفظ: «هناك» في هذا النّص، يشير أنّ العلاّمة الدَّاوُدِيّ أدّى فريضة الحجّ.

هذا، وقد وقفتُ في كتاب الصّلة على نصّين لابن بشكوال، يشير فيهما إلى حجّ الإمام أبي جعفر أحمد بن نصر الدَّاوُدِيّ، وهما:

– قوله في ترجمة أصبغ بن الفرج بن فارس الطائي: «من أهل قرطبة، يُكْنى: أبا القاسم، كان من أهل اليقظة والنّباهة، حافظًا للفقه ورأي مالك، مشاوَرًا فيه، بصيرًا بعقد الوثائق. رحل وحجّ، وروى العلم وأخذ عن أبي الحسن بن جهضم المكي، وعبد الغنيّ بن سعيد، وأجاز له أحمد بن نصر الدَّاوُدِيّ»[5].

(1) ابن بشكوال، الصّلة: 104/1.
(2) المصدر نفسه: 151/1.
(3) المصدر نفسه: 200/1.
(4) المصدر نفسه: 211/1.
(5) المصدر نفسه: 35/1.

– وقوله في ترجمة حيون بن خطّاب بن محمّد: «من أهل طليطلة، يكنى: أبا الوليد، يروي عن أبي العاصي حكم بن إبراهيم المرادي، وأبي محمّد بن أرفع رأسه، وسهل بن إبراهيم الأستيجي، وأبي محمّد الأصيلي، وابن الهندي، وابن العطّار، وغيرهم كثير، ورحل إلى المشرق، وحَجَّ، ولقي الدَّاوُدِيّ، والقابسي»[1].

وهذه النّقول تشير إلى رحلات الدَّاوُدِيّ إلى المشرق، ولقائه العلماء، وكذلك أخذ عنه بعض طلبة العلم، وأجاز آخرين –والله أعلم–.

ج. رحلته إلى القيروان:

وأمّا عن القيروان؛ فلم يأت في المصادر كلّها دخوله القيروان، أثناء رحلاته، وهناك من الباحثين كالحسين محمّد شوّاط؛ عدّ الدَّاوُدِيّ ضمن علماء المدرسة القيروانية[2]، وذهب إلى هذا الرّأي كذلك عزّ الدّين بن زغيبة الجزائري إذ يقول: «... إلاّ أنّ الذي يظهر لي أنّه قد دخلها أثناء مروره بها في رحلته السّالفة الذّكر، وذلك اعتمادًا على العناصر التالية:

– ما ذكره ابن مخلوف عند ترجمته لأحمد بن نصر الهواري[3] إذْ قال: (وفي المالكيين القرويين من يشبهه، وهو أحمد بن نصر الدَّاوُدِيّ)[4]، فهذا تصريح واضح الدّلالة على دخول الدَّاوُدِيّ إلى القيروان.

– ما ذكره عياض في ترجمته لأبي بكر عبد الله بن أبي زيد، وأخيه عمر؛ من أنّ الدَّاوُدِيّ قد كتب عنهما، ولم يكن بالطائل المعرفة، ولم يذكر عنهما أنّهما انتقلا إلى طرابلس، ولا إلى تلمسان، فدلّ هذا على التقائهما به في القيروان، إلاّ أنّ سكوت المترجمين عن ذكر مسألة دخوله القيروان ربّما يعود لقِصَر المدّة، التي أقام فيها، أو لكونها لم تكن مقصودة في رحلته، وإنّما دخلها عَرَضًا ممّا يجعلها غير ذات أهمية، في رحلته وترجمته، وقد تكون هناك أسباب أخرى وراء هذا الإحجام، والله أعلم»[5].

ويحسن الوقوف قليلاً مع الأستاذ عزّ الدّين فيما ذكره بما يلي:

---

(1) ابن بشكوال، الصّلة: 49/1.

(2) شوّاط، الحسين بن محمّد، ***مدرسة الحديث في القيروان من الفتح الإسلامي إلى منتصف القرن الخامس الهجري***، ط1، الدّار العلمية للكتاب الإسلامي، 1411هـ: 795/2.

(3) انظر ترجمته في: ابن فرحون، الديباج المذهب: 34/1.

(4) مخلوف، شجرة النور الزكية: ص82.

(5) زغيبة، عزّ الدّين، ***أحمد بن نصر الدَّاوُدِيّ الطرابلسي التلمساني حياته وآثاره***، ضمن: (أعمال ندوة التواصل الثقافي بين أقطار المغرب العربي وتنقلات العلماء والكتب).

أوّلاً: لا توجد قرينةٌ واحدةٌ فيما وصل إلينا من شذرات عن حياته، تدلّ على رحلته إلى القيروان، وطلبه العلم فيها، مع الإقرار أنّ القيروان لا تبعد عن طرابلس مستقرّ الدَّاوُدِيّ، ولا عن تلمسان التي نشأ بها، إلاّ أنّ البحث يقتضي الإثبات والدّليل، لا التّخرص والتّخمين.

ثانيًا: كيف يكون الدَّاوُدِيّ قد دخل القيروان وأقام بها، وهو الذي أنحى باللاّئمة على علماء القيروان لبقائهم في سلطة العبيديين، فكيف يلومهم ثمّ يدخل القيروان؟

ثالثًا: وممّا يرجّح أنّ الدَّاوُدِيّ لم يدخل القيروان؛ أنّ صاحب كتاب معالم الإيمان[1] لم يذكره في كتابه، على الرّغم من أنّه استوعب ذكر جميع من له صلة بالقيروان.

رابعًا: أمّا ما استدلّ به الأستاذ من أنّ بعض أبناء ابن أبي زيد القيرواني قد أخذوا عنه؛ فليس بالضرورة أن يكون ذلك في القيروان، وعدم ورود خبر ذهابهم إليه في طرابلس؛ لا يكفي دليلاً على دخوله القيروان، إذْ ذهابُهم إليه أكثر احتمالاً من مجيئه إلى القيروان، وهي ما زالت في سلطة العبيديين.

خامسًا: قد يكون اختلط الأمر على الباحث في الأعلام فجعلها واحدًا، كما وقع للزركلي. فهناك عالم آخر يقال له أيضا: أحمد بن نصر الدَّاوُدِيّ، وهو غير الدَّاوُدِيّ الذي تحدّث عنه، وهو الذي ترجم له صاحب شجرة النور الزكية برقم (153)، وهو أقدم، لأنّه توفّي سنة 307هـ، وقد ذكره للتمييز بينه وبين أحمد بن نصر بن زياد الهواري المتوفّى سنة 319هـ؛ إذ قال: «وفي المالكيين القرويين من يشبهه، وهو أحمد بن نصر الدَّاوُدِيّ المتوفّى سنة 307هـ»[2].

سادسًا: جاء في كتاب الصّلة لابن بشكوال نصوص تشير إلى وجود العلاّمة الدَّاوُدِيّ بالقيروان منها:

– جاء في ترجمة أحمد بن أيوب بن أبي الربيع الإلبيري الواعظ: «من أهل إلبيرة سكن قرطبة، يكنى: أبا العبّاس، روى ببلده عن أبي عبد الله بن أبي زمنين وغيره، وسمع أيضا من أبي أيوب سليمان بن بطّال البطليموسي كتاب الدليل إلى طاعة الجليل من تأليفه، وكتاب أدب المهموم من تأليفه أيضًا، وسمع أيضًا من أبي سعيد الجعفري، وسلمة بن سعيد الأستجي، ورحل إلى المشرق، وحجّ، ولقي أبا الحسن القابسي بالقيروان، وأحمد بن نصر الدَّاوُدِيّ، وغيرهما»[3].

(1) انظر: الدّباغ، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان.

(2) مخلوف، شجرة النّور: ص82، رقم: 153.

(3) ابن بشكوال، الصّلة: 14/1.

– وفي ترجمة عبد الرّحمن بن محمّد بن عيسى بن فطين بن أصبغ بن فطيس بن سليمان: «وكتب من أهل القيروان: أبو محمّد أبو زيد الفقيه، وأبو أحمد بن نصر الدَّاوُدِيّ، وغيرهما»[1].

– وفي ترجمة عبد الله بن محمّد بن يوسف بن نصر الأزدي الحافظ: «يُعرف بابن الفرضي ... وأخذ بالقيروان عن أبي محمّد بن أبي زيد الفقيه، وأبي أحمد بن دحمون، وأحمد بن نصر الدَّاوُدِيّ، وغيرهم»[2].

– وجاء في ترجمة عبد الرّحمن بن سعيد بن جرج: «سكن قرطبة وأصله من إلبيرة، يكنى أبا المطرّف، روى ببلده عن أبي عبد الله بن أبي زمنين وغيره، ورحل إلى المشرق، وحجّ سنة تسع وتسعين وثلاث مائة، وأخذ بالقيروان عن أبي الحسن عليّ بن أبي بكر القابسي، وأبي جعفر أحمد بن نصر الدَّاوُدِيّ، وغيرهما»[3].

فإن صحّت هذه النقول؛ فيمكن توجيهها بما ذكره الدبَّاغ: «... إلاّ أنَّ سكوت المترجمين عن ذكر مسألة دخوله القيروان؛ ربما يعود لقِصَر المدّة التي أقام فيها، أو لكونها لم تكن مقصودةً في رحلته، وإنّما دخلها عَرَضًا، ممّا يجعلها غير ذات أهمية في رحلته وترجمته»[4].

ومهما يكن من أمر؛ فإنّنا لا نريد أن نلصق هذا الإمام الكريم بتربة معيّنة، ونضيّع وقتنا فيما لا يخطر للمؤلّف ببال، ولكنّ البحث العلمي يقتضي التّحري والدّقة، والبعد عن ظلم هذا الإمام، ولقد كتب للدّاودي أن يُظلَم في كلّ زمان، قديماً لم يوفّه العلماء حقّه في ترجمته، وحديثًا خلط كثيرٌ من المحقّقين بينه وبين غيره، كما سيأتي بيانه.

المطلب الثالث: شيوخه وتلاميذه

أوّلا: شيوخه

بعد الوقفات التي ذكرناها عن عصامية الدَّاوُدِيّ في طلبه للعلم وأنّه «كان درسه وحده، ولم يتفقّه في أكثر علمه على إمام مشهور، وإنّما وصل بإدراكه»، وقد ناقشنا هذه العبارة، ووجدنا أسماء مشايخ تلقّى عنهم، وكتب عنهم، وقد أجازوه بمروياتهم ومؤلّفاتهم، وهم:

1. أبو سليمان ربيع بن القطّان بن عطاء الله القرشي (ت333هـ)، تفقّه عليه الدَّاوُدِيّ ولازمه[5].

(1) ابن بشكوال، الصّلة: 98/1.

(2) المصدر نفسه: 79/1.

(3) المصدر نفسه: 105/1.

(4) الدباغ، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان: 57/3.

(5) عياض، ترتيب المدارك: 311/5؛ مخلوف، شجرة النور الزكية: ص94.

2. أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الله الزبيري، المعروف بالقلانسي (ت359هـ)[1].

3. أبو الحسن بن علي بن محمد بن مسرور الدبّاغ (ت359هـ)[2].

4. إبراهيم بن هارون بن خلف (ت360هـ)[3]، روى عنه الدَّاوُدِيّ الموطّأ[4].

5. أبو بكر محمّد بن سليمان النّعالي (ت380هـ)[5].

6. أبو بكر أحمد بن عبد الله بن أبي زيد القيرواني (ت بعد 460هـ)، وأخوه عمر بن عبد الله بن أبي زيد القيرواني (ت460هـ)[6].

ثانيا: تلاميذه

لقد تخرّج على يد هذا العالم خلقٌ كثير؛ إذ إنّه أملى مؤلّفاته في مجالس التدريس، وشرحها، وأجاز بها الكثير من علماء ومشايخ عصره، فالمصادر قد أجمعت على أنّ الدَّاوُدِيّ ألفّ كتابه في شرح الموطأ، وأملاه على طلبته في طرابلس، وتتلمذ على هذا الشيخ علماء أجلّة، وقفنا على أسماء بعضهم، وهم:

1. أحمد بن محمد بن عبيدة الأموي، المعروف بابن ميمون (ت400هـ)[7].

---

(1) انظر ترجمته في: ابن فرحون، الدّيباج المذهب: 88/1؛ مخلوف، شجرة النّور: ص83، رقم: 161.

(2) «اجتمع بأبي الحسن الدينوري، سمع منه أبو الحسن القابسي، وأبو عبد الرحمن بن محمد الربعي، وأبو جعفر الدَّاوُدِيّ ...». انظر: ابن الآبار، أبو عبد الله محمّد بن عبد الله القضاعي البلنسي (ت659هـ)، ***التكملة لكتاب الصّلة***، تحقيق: عبد السلام الهراس، دار الفكر للطباعة، لبنان، 1415هـ/1995م: 116/1.

(3) انظر ترجمته في: ابن الفرضي، أبو الوليد عبد الله بن محمد (ت403هـ)، ***تاريخ علماء الأندلس***، اعتنى به: عزّت العطّار الحسيني، ط2، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1408هـ/1988م: 26/1.

(4) ذكر ذلك أبو الوليد هشام بن عبد الرحمن الصّابون، وهو أحد تلاميذ الدَّاوُدِيّ. انظر ترجمته في تلاميذ الدَّاوُدِيّ، في برنامجه، وحدّث بموطّأ مالك رواية أبي المصعب الزهري، وعبد الله بن مسلمة القعنبي، ويحي بن يحي الأندلسي، وعن الدَّاوُدِيّ عنه. وهذا يعني أنّ هشام بن عبد الرحمن (ت423هـ) حدّث بالموطأ عن الدَّاوُدِيّ، عن شيخه إبراهيم بن خلف. انظر: ابن الآبار، التكملة لكتاب الصّلة: 1/ 115.

(5) فقد نقل البرزلي في فتاويه قال: «نقل المازري عن الدَّاوُدِيّ في (النّصيحة) عن النّعالي: يسقط فرض الحجّ عمّن أراده وإن لم يحرم». انظر: البرزلي، أبو القاسم بن أحمد البَلَوي القيرواني (ت841هـ)، ***فتاوى البرزلي: جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتين والحكّام***، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2002م: 592/1. فلا يبعد زمانًا ولا مكانًا أن يكون الدَّاوُدِيّ سمع من النّعالي، فقد ذكر الونشريسي أنّ أبا بكر النّعالي سُئل من (برقة) عمّن قال لامرأته ... إلخ. انظر: الونشريسي، أحمد بن يحي (ت914هـ)، ***المنهج الفائق والمنهل الرّائق والمعنى اللائق بآداب الموثق وأحكام الوثائق***، مطبعة الحاج الطيب الأزرق، فاس، 1298هـ (طبعة حجرية): 2/ 776. توجد منه نسخة مخطوطة في مكتبة تيطوان بالمغرب، وذكره رضا عمر كحالة في معجم المؤلّفين باسم: المنهج الفائق في أحكام الوثائق، وتوجد منه نسخة أخرى بتازة رقم: 352، وتوجد مخطوطة بالمكتبة الوطنية بالجزائر، رقم: 1216. فالظاهر من هذا النّص أنّ النّعالي كان ببرقة، وهي مدينة قريبة من طرابلس، فترجّح أن يكون الدَّاوُدِيّ التقى به وأخذ عنه.

(6) انظر: عياض، ترتيب المدارك: 117/4.

(7) انظر: ابن بشكوال، الصّلة: 51/1.

2. أبو القاسم أصبغ بن الفرج بن فارس الطّائي القرطبي (ت400هـ)[1].
3. عبد الرّحمن بن محمد بن عيسى بن فطيس، أبو المطرّف(ت:402هـ).[2]
4. أبو الوليد عبد الله بن عمر بن يونس بن نصر (ت403هـ)[3].
5. أبو عبد الملك راشد بن إبراهيم بن عبد الله بن إبراهيم بن راشد القرطبي (ت404هـ)[4].
6. أبو الوليد هشام بن عبد الرّحمن، المعروف بالصّابوني (ت423هـ)[5].
7. أبو عمر أحمد بن سعيد بن علي الأنصاري القناطري القرطبي (ت428هـ)[6].
8. أبوبكر أحمد بن محمد بن إسماعيل بن سعيد القيسي السّبتي (ت429هـ)[7].
9. كامل بن أحمد بن يونس الغفّاري القادسي (ت430هـ)[8].
10. أحمد بن محمّد بن يحي القرشي الأموي (ت431هـ)[9].
11. أبو العباس أحمد بن أيوب بن أبي الرّبيع الإلبيري الواعظ (ت432هـ)[10].
12. أبو القاسم أحمد بن محمد بن ملاّس الفزّاري الإشبيلي (ت435هـ)[11].
13. أبو المطرّف عبد الرّحمن بن سعد بن فرج (ت439هـ)[12].

(1) ابن بشكوال، الصّلة: 179/1.

(2) ابن بشكوال، الصّلة: 466/2؛ مخلوف، شجرة النّور: ص102.

(3) انظر: عياض، أبو الفضل بن موسى اليحصبي السبتي (ت544هـ)، ***الغنية (فهرست شيوخ القاضي عياض اليحصبي)***، تحقيق: محمد بن عبد الكريم، الدار العربية للكتاب، تونس، 1979م: ص 172-173؛ ابن بشكوال، الصّلة: 391/1؛ الذهبي، سير أعلام النّبلاء: 177/17؛ الذهبي، تذكرة الحفّاظ: 1076/3؛ الذهبي، تاريخ الإسلام: 82/28.

(4) انظر: ابن بشكوال، الصّلة: 295/1.

(5) انظر: ابن بشكوال، الصّلة: 934/3؛ ابن الآبار، التكملة لكتاب الصّلة: 115/1؛ الذهبي، تاريخ الإسلام: 44/7.

(6) انظر: ابن بشكوال، الصّلة: 81/1؛ الذهبي، تاريخ الإسلام: 208/29.

(7) انظر: ابن بشكوال، الصّلة: 85/1.

(8) انظر: ابن بشكوال، الصّلة: 475/2؛ الحموي، معجم البلدان: 291/4.

(9) انظر: ابن بشكوال، الصّلة: 143/1.

(10) انظر: ابن بشكوال، الصّلة: 89/1.

(11) انظر: ابن بشكوال، الصّلة: 86/1؛ الذهبي، تاريخ الإسلام: 413/29.

(12) انظر: عياض، ترتيب المدارك: 741/2؛ ابن بشكوال، الصّلة: 475/2؛ الحموي، معجم البلدان: 296/4.

14. أبو عبد الملك مروان بن علي البوني (ت440هـ)[1].

15. أبو بكر أحمد بن عبد الله بن أبي زيد القيرواني (ت460هـ)[2].

16. أبو حفص عمر بن عبد الله بن أبي زيد (ت460هـ)[3].

17. حيّون بن خطاب بن محمد[4].

18. أبو عمر يوسف بن عبد البرّ النّمري (ت463هـ)[5].

19. أبوعبد الملك البرقي[6].

20. أبو الوليد حجّاج بن محمد بن عبد الملك (وعند الذهبي عبد الله)، اللّخمي المراكشي الإشبيلي[7].

21. أبو محمد عبد الرّحمن بن عبد الله بن خالص الأموي[8].

22. أبو علي بن الوفاء[9].

---

(1) نسبة إلى بونة عنابة حاليا، فقد عدّه ابن الأثير (ت555هـ) من أصحاب أبي الحسن القابسي. انظر: ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم الجزري (ت630هـ)، ***اللباب في تهذيب الأنساب*** (الأنساب للسمعاني)، دار صادر، بيروت، 1400هـ/1980م: 188/1. وانظر: عياض، ترتيب المدارك: 709/2–710. وقد كان لأبي عبد الملك البّوني الفضل في حفظ كتب شيخه الدَّاوُدِيّ وأسانيده، وعن طريقه تلقاها العلماء. انظر: ابن خير، فهرسة ابن خير الإشبيلي: ص391–392؛ الحميدي، أبو عبد الله محمّد بن فتوح الأزدي الميورقي (ت488هـ)، ***جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس***، تحقيق: إبراهيم الأنباري، ط2، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1403هـ/1983م: 342/1؛ الذهبي، تاريخ الإسلام: 507/29.

(2) ابن صاحب الرّسالة الإمام ابن أبي زيد القيرواني الشّهير (ت386هـ)، انظر: مخلوف، شجرة النّور الزّكية: ص116.

(3) أخو أبوبكر أحمد المذكور سابقا، لم يذكره المترجمون من تلاميذ الدَّاوُدِيّ لكن صاحب (الشجرة) ذكر في ترجمته ما يستخلص منه أنّه تتلمذ عليه. انظر: عياض، ترتيب المدارك: 117/2؛ مخلوف، شجرة النّور الزكية: ص126.

(4) انظر: الكتاني، محمد عَبْد الحَيّ بن عبد الكبير (ت1382هـ)، ***فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات***، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1402هـ: 357/1. لم أعثر على تاريخ وفاته.

(5) انظر: ابن خير، فهرسة ابن خير الإشبيلي: ص392، ابن حجر، أبو الفضل أحمد بن علي العسقلاني (ت852هـ)، ***المعجم المفهرس أو تجريد أسانيد الكتب المشهورة والأجزاء المنثورة***، تحقيق: محمد شكور الميادييني، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1418هـ/1988م: 398/1؛ المقدسي، علي بن المفضّل (ت611هـ)، ***الأربعين المرتبة على طبقات الأربعين***، تحقيق: محمد سالم بن محمد بن جمعان العبادي، أضواء السلف، السعودية: ص220؛ عياض، ترتيب المدارك: 353/2؛ الذهبي، سير أعلام النّبلاء: 157/18.

(6) نسبة إلى برقة، وهي قريبة من طرابلس، وهذا ذكره الذهبي وقرن معه أبا بكر بن الشّيخ في الأخذ عن الدَّاوُدِيّ. انظر: الذهبي، تاريخ الإسلام: 507/29، ولعلّ هذا التّصحيف من الذهبي، وأنّه هو أبو عبد الملك البوني.

(7) انظر: ابن بشكوال، الصّلة: 245/1؛ الذهبي، تاريخ الإسلام: 67/7.

(8) انظر: ابن بشكوال، الصّلة: 488/2. لم أعثر على تاريخ وفاته.

(9) من أهل سبتة، انظر: عياض، ترتيب المدارك: 7/ 104. ولم يذكر شيئًا عن وفاته، ولم أجد له ترجمة مستقلّة فيما لديّ من مصادر.

وهذه جملة ممّا تيسّر لنا جمعه من تلاميذ الدَّاوُدِيّ، من المصادر المتوافرة، ولعلّ البحث في ثنايا المخطوطات سيعرّفنا على عدد آخر من تلاميذه وشيوخه، ممّا سيكشف الغطاء عن حقيقة عصامية الدَّاوُدِيّ في طلبه للعلم، وهذا نظرًا لمكانة الإمام الدَّاوُدِيّ، وشهرته بين أهل العلم، في زمانه وبعد ذلك.

هذا ما تمّ إحصاؤه من كتب التّراجم عن تلامذته، وأمّا ممّن صحب الدَّاوُدِيّ، فقد ذكر ابن مريم منهم:

1. علي بن يحي السلكسيني الجاديري (ت972هـ)[1].

2. محمّد بن عبد الله بن عبد الرّحمن، المعروف بابن رحمة المطفري[2].

والذي يظهر من تأخّر وفاة عليّ بن يحي السلكسيني؛ أنّ أحمد بن نصر الدَّاوُدِيّ، الذي ذكره ابن مريم، غير أبي جعفر أحمد بن نصر الدَّاوُدِيّ (ت402هـ)، وقد مرّ معنا فيما سبق أنّ صاحب البستان لم يترجم للدَّاوُدِيّ.

المطلب الرّابع: عقيدته ومذهبه الفقهي

أوّلاً: عقيدته

كان الإمام الدَّاوُدِيّ مناهضًا لدولة بني عبيد، منتقدًا من يشايعهم، وكان موقفه صريحًا بعيدًا عن المواراة والنّفاق، فقد عاصر الدَّاوُدِيّ الدولة العبيدية المسمّاة بالفاطمية زورًا، وقد انقسم العلماء حيالها ثلاثة أقسام:

القسم الأوّل: شايعها وهم قليل.

القسم الثاني: تشدّد فكفّرهم ومنع التعامل معهم.

القسم الثالث: توسّط فلم يتعامل معهم ولم يكفّرهم.

فقد كان الدَّاوُدِيّ من القسم الثاني، بل ذهب إلى أبعد من تكفيرهم، إلى تكفير من يشايعهم[3].

---

(1) انظر ترجمته في: ابن مريم، أبو عبد الله محمد بن محمد التلمساني (ت1020هـ)، ***البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان***، المطبعة الثعالبية، الجزائر، 1908م: ص145.

(2) وقد صحب أحمد بن نصر الدَّاوُدِيّ. انظر: المرجع السابق: ص285.

(3) انظر فتاوى العلماء في: عياض، ترتيب المدارك: 719/3، 720، 767؛ الدبّاغ، معالم الإيمان: 177/3؛ أبو بكر عبد الله بن محمد المالكي، ***رياض النّفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونسّاكهم***، تحقيق: بشير البكوش، دار الغرب الإسلامي، بيروت، : 339/2.

وهذا نص الفتوى التي أصدرها في حكم من يتعامل مع العبيديين من خطباء المساجد وغيرهم، قال: «خطيبهم الذي يخطب لهم، ويدعو لهم يوم الجمعة؛ كافر، يقتل ولا يستتاب، وتحرم عليه زوجته، ولا يرث، ولا يورث، وماله في المسلمين، وتعتق أمّهات أولاده، ويكون مدبّروه للمسلمين، يعتق أثلاثهم بموته؛ لأنّه لم يبق له مال، ويؤدّي مكاتبوه للمسلمين، ويعتقون بالأداء، ويرقّون بالعجز، وأحكامه كلّها أحكام الكفر، فإن تاب قبل أن يعزل، إظهارا للنّدم، ولم يكن أخذ دعوة القوم؛ قبلت توبته، وإن كان بعد العزل، أو بشيء منعه لم تقبل، ومن صلّى وراءه خوفًا أعاد الظهر أربعًا، ثمّ لا يقيم إذا أمكنه الخروج، ولا عذر له بكثرة عيال، ولا غيره... »[1].

ولم يكن الإمام الدَّاوُدِيّ بدعًا في هذه الفتوى، بل أيّده ووافقه عليها أو على بعض أجزائها؛ جماعة من مشاهير علماء القيروان وغيرهم[2]. فدلّ هذا على شخصية الدَّاوُدِيّ القويّة، وعقيدته الرّاسخة، وتحمّله لأمانة العلم والعمل أمام الله تعالى، والأمّة.

فالدَّاوُدِيّ وغيره من العلماء، الذين ناهضوا دولة بني عبيد، وصمدوا ضدّهم، وأفتوا بكفرهم، تبنّوا المذهب السّني، فكان هذا الصّمود والتّحدي ترسيخًا للمذهب، وتعزيزًا للعقيدة الصّحيحة.

فكان المذهب المالكي صمّام أمان للمغرب الإسلامي، وقد حفظ للأمّة دينها ووحْدتها، وكان لها سدًّا منيعًا في وجه التيّارات الوافدة: كالرّوافض والخوارج، وغيرهم من أهل البدع والأهواء.

وفي هذه المرحلة التي عاش فيها الدَّاوُدِيّ؛ كان المذهب المالكي بإفريقية والمغرب العربي عمومًا؛ بدأ يرتبط بالمذهب الأشعري، وظهر من المالكية من تبنّى العقيدة الأشعرية، تدريسًا وتنظيرًا، إذ اعتمدت كسلاح لمناظرة العبيديين في أواخر القرن الرابع الهجري، وبهذا استطاع التوجّه الأشعري التفرّد بالسّاحة الكلامية بإفريقية والغرب الإسلامي كلّه[3].

قال عبد العزيز دخّان: «يظهر أنّ الإمام الدَّاوُدِيَّ كان على مذهب أهل التّأويل، الذي كان عليه كثير من العلماء قبله وبعده، وقد أورد ابن حجر والعيني كثيرًا من الأقوال في تأويل أحاديث النّبي ﷺ المتعلّقة بصفات الله عزّ وجلّ»[4].

(1) عياض، ترتيب المدارك: 274/7؛ عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر: 272/1.

(2) عياض، ترتيب المدارك: /276، 277، 278.

(3) انظر: المصلح، محمد، ***أبو الحسن اللخمي وجهوده في تطوير الاتجاه النقدي في المذهب المالكي في الغرب الإسلامي***، ط1، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، دبي، 1428هـ: ص111، 112، 157.

(4) دخّان، الإمام أحمد بن نصر الدَّاوُدِيّ محدّثًا وفقيهًا: ص91.

ومن ذلك ما ورد في حديث أبي هريرة: (**يَضْحَكُ اللهُ إِلَى رَجُلَيْنِ؛ يَقْتُلُ أَحَدُهُمَا الآخَرُ، يَدْخُلان الجَنَّةَ، يُقَاتِلُ هَذَا فِي سَبِيلِ اللهِ فَيُقْتَلُ، ثُمَّ يَتُوبُ اللهُ عَلَى الْقَاتِلِ فَيُسْتَشْهَدُ**)[1]. قال الدَّاوُدِيّ: «أراد قبول أعمالهما، ورحمتهما، والرّضا عنهما»[2].

ثانيا: مذهبه الفقهي

كان الدَّاوُدِيّ مالكيًّا، لكنّ رجلاً مثله يصفه عياض باتّساع العلم، ويصفه غيره بالاستبحار في الحديث؛ لا يمكن أن يكون مقلّدًا محضًا، بل كان يدرس أقوال المذاهب ويعرضها على السّنة فيمحّصها، فقد كانت للإمام الدَّاوُدِيّ اختيارات واجتهادات تخالف الإمام مالك؛ ولنضرب لذلك بمثالين:

الأوّل: كراء الأرض بما يخرج منها، وهي ممنوعة عند مالك وأصحابه، وأجازها الدَّاوُدِيّ[3].

الثاني: قال ابن الحاجب في مختصره الفرعي: «وكره مالكٌ ستّة أيّام بعد يوم الفطر –وإن ورد– للعمل، وأجاز صوم يوم الجمعة منفردًا. قال الدَّاوُدِيّ: لم يبلغه الحديث»[4]، يقصد ما رواه الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (**لاَ يَصُومَنَّ أَحَدُكُمْ يَوْمَ الجُمُعَةِ إِلاَّ أَنْ يَصُومَ قَبْلَهُ أَوْ يَصُومَ بَعْدَهُ**)[5].

والمسائل التي خالف فيها الدَّاوُدِيّ المذهب كثيرة، لا يمكن إهمال آرائه، ولا تغييبها عن مواقع الخلاف الفقهي في المذهب.

إنّ اجتهادات الدَّاوُدِيّ الفقهية، جعلت منه عالما مميّزا، في المذهب المالكي، وليس هناك كتابٌ جامعٌ لآراء الدَّاوُدِيّ في أبواب الفقه، ولكنّها موجودةٌ ومبثوثةٌ في ثنايا المسائل الفقهية، وقد نقلت لنا كتب الفقه والنّوازل والقضاء عددًا من تلك الآراء والنّوازل والمسائل والفتاوى، فمن أمثلة فتاويه ما يلي:

---

(1) البخاري، حديث رقم: 2671؛ مسلم، حديث رقم: 1890.

(2) العيني، بدر الدّين أبو محمد محمود بن أحمد (ت855هـ)، ***عمدة القاري شرح صحيح البخاري***، دار إحياء التراث العربي، بيروت: 123/14.

(3) الدّسوقي، محمد بن أحمد بن عرفة (ت1230هـ)، ***حاشية الدّسوقي على الشرح الكبير***، دار الفكر، بيروت: 372/3؛ البرزلي، فتاوى البرزلي: 408/3.

(4) ابن الحاجب، أبو عمرو عثمان بن عمر (ت646هـ)، ***جامع الأمهات***، تحقيق: أبو عبد الرحمن الأخضر الأخضري، ط2، دار اليمامة، 2000م: ص178–179. وقال النووي: «قال الدَّاوُدِيّ من أصحاب مالك: لم يبلغ مالكًا حديث النّهي، ولو بلغه لم يخالفه». النووي، أبو زكريا محيي الدّين يحيى بن شرف (ت676هـ)، ***المجموع شرح المهذّب***، دار الفكر، بيروت، 1997م: 439/6.

(5) البخاري، حديث رقم: 1884؛ مسلم، حديث رقم: 1144.

– سئل الدَّاوُدِيّ: هل للفقراء أخذ الزكاة من الغاصب؟ قال: «نعم؛ لأنّه إن كان الزّرع للغاصب فقد وجب، وإن كان لربّ الأرض فكذلك»[1].

– سئل الدَّاوُدِيّ: ما حكم أهل الذمّة الذين يمارسون الحرابة؟ هل يعتبر ذلك نقضًا للعهود، قال: «إن كان خروجهم من ظلم فهو نقض؛ لأنهم لم يعاهدوا أن يظلموا من ظلمهم»[2].

– سئل الدَّاوُدِيّ عن حكم الجهاد بعد الفتح؟ قال: «بقي الجهاد فرضًا بعد فتح مكّة على من يلي العدوّ، وسقط عمّن بَعُدَ عنه»[3].

ومن أمثلة الكتب التي حوت فتاويه وآرائه الفقهية:

– المعيار المعرب عن فتاوى أفريقية والأندلس والمغرب، للونشريسي[4].

– الدرر المكنونة في نوازل مازونة، لأبي زكريا يحي بن موسى المازوني (ت883هـ)[5].

– الأحكام الجوازل في نُبَذ من النّوازل، لأبي راس النّاصري الجزائري (ت1238هـ).

– الفواكه الدواني على رسائل ابن أبي زيد القيرواني، لأحمد بن غنيم بن سالم القراوي الأزهري المالكي.

– جامع الأمّهات، لابن الحاجب.

– تعليق على المدوّنة، وشرح التلقين، وفتاوى الإمام محمّد بن علي بن محمّد التميمي المازري (ت536هـ).

– فتاوى ابن رشد[6].

– الموافقات، لإبراهيم بن موسى الشاطبي.

---

(1) انظر: البرزلي، فتاوى البرزلي: 171/5–172.

(2) انظر: القرافي، أبو العبّاس أحمد بن إدريس (ت684هـ)، ***الذخيرة***، تحقيق: محمّد حجّي وغيره، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1994م: 462/3.

(3) انظر: الحطّاب، أبو عبد الله محمّد بن عبد الرّحمن (ت902هـ)، ***مواهب الجليل شرح مختصر الخليل***، ط3، دار الفكر، بيروت، 1992م: 347/3.

(4) انظر: الونشريسي، أحمد بن يحي، ***المعيار المعرب عن فتاوى علماء أفريقية والأندلس والمغرب***، خرّجه جماعة من الفقهاء بإشراف: محمّد حجّي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1401هـ/1981م: 435/4–436.

(5) وقد أشرف على تحقيقها أستاذنا ماحي قندوز من جامعة تلمسان، من كتاب الطهارة إلى كتاب العقيقة، والله نسأل أن ييسّر تحقيق هذه الموسوعة النوازلية، وقد طبعتها وزارة الشؤون الدينية بالجزائر، سنة 2012م.

(6) انظر: ابن رشد، أبو الوليد محمد بن أحمد القرطبي (ت520هـ)، ***البيان والتحصيل والشرح والتوجيه لمسائل المستخرجة***، مطبعة المتوسطة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1404هـ/1984م: 561/2.

وغيرها من مصادر الفقه المالكي.

وهذا الذّكر ليس الغرض منه الاستقصاء، ولكن فتح باب للدّراسين والباحثين ليجمعوا له فتاويه، التي تناثرت في الكتب المطبوعة والمخطوطة، حتّى يمكن طبعها عندئذ، في كتاب مستقلّ لتسليط الضوء على شخص الدَّاوُدِيّ الفقيه المالكي.

ولقد قام عبد العزيز صغير دخان[1] بجمع جزء من فتاوى الإمام الدَّاوُدِيّ، وآرائه الفقهية، مرتّبة على أبواب الفقه –فجزاه الله خيرا–، وما على الباحثين إلاّ دراسة هذه الآراء ومناقشتها، وإضافة فتاوى، ومسائل فقهية أخرى، حتّى يجمع تراثه الفقهي، في مصنّف واحد.

المطلب الخامس: مكانته العلمية وثناء العلماء عليه

أوّلاً: مكانته العلمية

لقد حفظت لنا كتب أهل العلم كثيرًا من الأقوال والآراء والفتاوى للدَّاوُدِيّ، شاهدة على آثاره، وإنتاجه العلمي. ولقد كَثُرت نقول العلماء عن الإمام الدَّاوُدِيّ، وهذا نظراً لما حظيت به أقواله، واجتهاداته في مسائل اللّغة والحديث والفقه والتّفسير من الاهتمام، فنهلوا منها، وأنزلوها منزلةً عظيمة، حتّى أنّه قلّما تجد كتابًا صنّف بعد القرن الخامس الهجري في شرح الحديث أو الفقه؛ لا يكون اسمه فيه.

وهذا الجدول يبيّن عيّنةً من ستة وخمسين مصدرًا ومرجعًا، من جملة العلماء الذين نقلوا عنه، مع عدد المواضع وعناوين كتبهم، وقد جاء استقراء هذه المواضع عن طريق البحث الالكتروني، فلا أزعم أنّه استقراء تامّ لكلّ المصنّفات التي ورد فيها أقوال وآراء الدَّاوُدِيّ.

(1) انظر: دخان، موسوعة الإمام العلاّمة أحمد بن نصر الدَّاوُدِيّ: 289/2 إلى 388. وقد وصل عدد المسائل إلى 215 مسألة.

عنوان الكتاب	المؤلِّف	عدد المواضع التي استشهد فيها بكلام الداودي
1. شرح صحيح البخاري	ابن بطّال	25
2. مشارق الأنوار	عياض	81
3. مذاهب الحكام في نوازل الأحكام	//	08
4. التنبيهات المستنبطة	//	01
5. البيان والتحصيل	ابن رشد	01
6. المقدمات والممهدات	//	02
7. المحرر الوجيز	ابن عطية	02
8. الذخيرة	القرافي	08
9. الفروق	//	05
10. الجامع لأحكام القرآن	القرطبي	04
11. معجم البلدان	ياقوت الحموي	06
12. جامع الأمّهات	ابن الحاجب	02
13. شرح النّووي على صحيح مسلم	النّووي	15
14. المجموع شرح المهذب	//	01
15. تهذيب الأسماء واللغات	النّووي	01
16. كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في التفسير	ابن تيمية	01
17. القوانين الفقهية	ابن جزي	01
18. سلاح المؤمن في الدّعاء	ابن سرايا	01
19. الفروع	ابن مفلح	01
20. الموافقات	الشّاطبي	01
21. أصول القراءات	ابن أبي الرّضا الحموي	01
22. المقنع في علوم الحديث	سراج الدّين الأنصاري	01

عنوان الكتاب	المؤلِّف	عدد المواضع التي استشهد فيها بكلام الداودي
23. القاموس المحيط	الفيروز آبادي	01
24. تعليق التعليق	ابن حجر العسقلاني	02
25. فتح الباري شرح صحيح البخاري	//	547
26. عمدة القاري	بدر الدين العيني	640
27. المبدع في شرح المقنع	ابن مفلح الابن	01
28. التاج الإكليل	ابن المواق	07
29. كنز العمال	المتقي الهندي	01
30. الإتقان في علوم القرآن	السّيوطي	01
31. لباب العقول	//	01
32. تدريب الراوي	//	01
33. التطريق في التصحيف	//	01
34. مواهب الجليل	الحطّاب	16
35. اليواقيت والدرر	المناوي	01
36. شرح ميارة	ميارة الفاسي	04
37. سمط النجوم العوالي	العاصمي المكي	03
38. شرح الزرقاني	الزّرقاني	03
39. الفواكه الدواني	النفراوي	02
40. كشف الخفاء ومزيل الإلباس	العجلوني	01
41. سبل السلام	الصنعاني	03
42. حاشية الدسوقي	الدّسوقي	04
43. فتح القدير	الشوكاني	02
44. نيل الأوطار	//	49
45. روح المعاني	الألوسي	02

عنوان الكتاب	المؤلِّف	عدد المواضع التي استشهد فيها بكلام الداودي
46. منح الجليل مختصر خليل	الشيخ عليش	05
47. حاشية العدوي	العدوي	03
48. شرح مختصر خليل	الخرشي	01
49. كفاية الطالب	أبو الحسن المالكي	01
50. بلغة السّالك	أحمد الصّاوي	01
51. شرح العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد	ابن عبد الوهاب	02
52. ولاية الله والطريق إليها	إبراهيم هلال	04
53. تاج العروس	الزبيدي	05
54. كشف القناع	البهوتي	01
55. الروض الأنف	السّهيلي	01
56. فصل المقال في شرح كتاب الأمثال	البكري	01

يجدر بنا التنبيه أنّ عدد المواضع التي ذكرناها في هذا الجدول؛ هي المواضع التي وقع فيها التصريح باسم الدَّاوُدِيّ، ولا شك أنّ هناك مواضع أخرى لم يذكر فيها باسمه، والله أعلم.

ثانيا: ثناء العلماء عليه

بلغ الدَّاوُدِيّ هذه المنزلة في الشّمال الإفريقي، والتي استحقّ بها إعجاب معاصريه، ومن أتى بعده من العلماء الذين عدّوه من أئمّة المالكية، ومن ذوي الفضل والعلم، فقد أثنى عليه العلماء، وهذه طائفة من أقوالهم في نبوغ الدَّاوُدِيّ ومكانته الكبيرة، عند علماء عصره وبعده:

1. قال القاضي عياض: «من أئمّة المالكية بالمغرب، والمتّسعين في العلم، المجيدين للتأليف ...كان فقيهًا فاضلاً، عالماً، متفنّناً، مؤلّفاً مجيدًا، له حظٌّ من اللّسان، والحديث، والنّظر»[1]. وهذه شهادة عظيمة من إمام كالقاضي عياض على مكانة الدَّاوُدِيّ، وأنّه نبغ في عدّة علوم.

(1) عياض، ترتيب المدارك: 102/7.

2. وقال السهيلي (ت581هـ): «الدَّاوُدِيّ من أهل الثّقة والعلم»[1].

3. وقال الذهبي: «أحمد بن نصر أبو جعفر الأزدي، الدَّاوُدِيّ المالكي، الفقيه، كان بأطرابلس المغرب، فأملى بها كتابه في شرح الموطّأ، ثمّ نزل تلمسان، وكان ذا حظّ من الفصاحة والجدل»[2].

4. وقال أبو الحسن عليّ بن محمد، المعروف بالخُزاعي التلمساني (ت789هـ): «وقد نقل الثّقات الأثبات العلماء المحقّقون لما ينقلون، كأبي عبيد القاسم بن سلاّم، وأبي الحسن عليّ بن خلف، وأبي جعفر أحمد بن نصر الدَّاوُدِيّ، وأبي عمر بن عبد البرّ»[3]. وهذا يدلّ على أنّ الإمام الدَّاوُدِيّ كان من الأئمّة المعدودين في المذهب المالكي بالمغرب العربي، إلى جانب ملكته في اللّسان، وبراعته في الحديث والنّظر، وعلى هذا تدل مؤلّفاته: «النّامي في شرح الموطّأ»، و«النّصيحة في شرح صحيح البخاري».

5. وقال الشاطبي: «وانظر إلى ما حكاه ابن حبيب في كتاب الجهاد، وكذلك الدَّاوُدِيّ في كتاب الأموال، ففيه الشّفاء»[4]، فهذا ثناءٌ بليغٌ على كتاب الأموال للدّاودي.

6. وقال ابن فرحون: «وكان فقيهًا، فاضلاً، متقنًا، مؤلّفًا مجيدًا، له حظّ في اللّسان، والحديث، والنّظر ... وكان درسه وحده، لم يتفقّه في أكثر علمه على إمام مشهور، وإنّما وصل بإدراكه»[5].

7. وقال صاحب معجم المؤلّفين: «أحمد بن نصر الدَّاوُدِيّ، الأسدي، المالكي، أبو جعفر، محدّث، فقيه، متكلّم»[6].

8. أمّا العراقي (ت806هـ) فقد ذكره ضمن مشاهير أئمّة المذاهب الفقهية[7]، ووصفه في موضع آخر بأنّه «من قدماء المالكية»[8].

---

(1) السّهيلي، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله (ت581هـ)، ***الروض الأنف في تفسير سيرة ابن هشام***، مكتبة الكليات الأزهرية، مصر: 96/1.

(2) الذهبي، تاريخ الإسلام: 56/28.

(3) الخزاعي، أبو الحسن علي بن محمد ابن ذي الوزارتين (ت789هـ)، ***تخريج الدّلالات السّمعية***، تحقيق: أحمد محمد أبو سلامة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، 1401هـ/1981م: ص630.

(4) الشاطبي، إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي (ت790هـ)، ***الموافقات في أصول الشريعة***، تحقيق: عبد الله دراز، دار المعرفة، بيروت: 118/1.

(5) ابن فرحون، الديباج المذهب: 35/1؛ العيني، عمدة القاري: 298/13.

(6) كحالة، عمر رضا، ***معجم المؤلّفين***، مكتبة المثنى، بيروت، دار إحياء التراث العربي، بيروت: 194/2.

(7) العراقي، أبو الفضل عبد الرحيم بن الحسين (ت806هـ)، ***طرح التثريب في شرح التقريب***، تحقيق: عبد القادر محمّد علي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2000م: 37/5.

(8) المصدر نفسه: 37/5.

9. قال أبو عبد الله الأنصاري، المشهور بابن صعد التلمساني (ت901هـ): «كان –رحمه الله– علاّمة العلماء، من أكابر الأولياء، مشهورًا بإجابة الدّعاء ... كان من أئمّة المالكية بالمغرب، وكان فقيهًا، فاضلاً، إمامًا، مقدَّمًا»[1].

10. وقال الحجوي الثّعالبي: «فقيهٌ متقنٌ فاضل، مشارك في الحديث والنّظر واللّسان»[2].

ولعلّ من مجموع ذلك؛ يتّضح تقدير العلماء لجهود الدَّاوُدِيّ العلمية، وثقتهم في نقل ما ينقله من الرّوايات والأحاديث، وإشارتهم إلى تنوّع ثقافته، ومشاركته العلمية التي تشمل كلاًّ من اللّغة والفقه والعقيدة والمناظرة والجدل، وهوما قد يثبته الحديث التّالي عن مؤلّفاته وكتبه.

المطلب السادس: مؤلفاته وآثاره العلمية ووفاته

أوّلاً: مؤلّفاته وآثاره العلمية

لقد خلّف الإمام الدَّاوُدِيّ تراثًا علميًّا عظيمًا في شتّى الفنون، في الحديث، والفقه، والعقيدة، والأصول، واللّغة، والتفسير، تشهد له بعلوّ مكانته عند جميع العلماء، وهذه المصنّفات منها ما هو مخطوط في خزائن بعض المكتبات العامّة، ومنها ما هو مفقود، وما تمّ حصره من كتب التراجم والفهارس؛ عشرة كتب، وهي:

1. شرحه على صحيح البخاري، الذي سمّاه: «**النّصيحة في شرح صحيح البخاري**».

وهو شرحٌ كاملٌ لصحيح البخاري؛ إلاّ أنّه مفقودٌ، لا تعرف نسخه. وقد صرّح غير واحد من العلماء باسم هذا الكتاب، منهم المازري[3]، والقاضي عياض[4]، والشّريف العلمي في نوازله[5]، وغيرهم، وذكره الإشبيلي في جملة المؤلّفات التي رواها عن مشايخه[6].

(1) ابن صعد، محمّد بن أحمد التلمساني (ت901هـ)، ***النّجم الثاقب فيما لأولياء الله من مفاخر المناقب***، تحقيق: محمّد أحمد الدياجي، ط1، دار صادر، بيروت، 1432هـ/2011م: ص127.

(2) الحجوي، محمد بن الحسن العربي بن محمد الثعالبي (ت1376هـ)، ***الفكر السّامي في تاريخ الفقه الإسلامي***، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1416هـ/1995م: 126/3.

(3) المازري، أبو عبد الله محمّد بن علي (ت536هـ)، ***المعلم بفوائد مسلم***، تحقيق: محمد الشاذلي النيفر، ط2، الدار التونسية، تونس، المؤسّسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1988–1991م: 102/2.

(4) عياض، أبو الفضل عياض بن موسى اليحصبي (ت544هـ)، ***إكمال المعلم في شرح مسلم***، تحقيق: يحي إسماعيل، ط1، دار الوفاء، مصر، 1998م: 401/4.

(5) الحفناوي، تعريف الخلف برجال السّلف: 568/2.

(6) ابن خير، فهرسة ابن خير الإشبيلي: ص76.

كما ذكر الحافظ ابن حجر العسقلاني أنّه أخذ شرح البخاري وشرح الموطّأ للدّاودي، عن شيوخه، وهذا نصّ كلامه: «كتاب شرح الموطّأ، وكتاب شرح البخاري؛ كلاهما تأليف أبي جعفر أحمد بن نصر الدَّاوُدِيّ، المالكي، التلمساني: أنبأنا بهما أبو عليّ الفاضلي، عن أحمد بن عليّ الفاضلي، عن أحمد بن أبي طالب، عن جعفر بن عليّ، عن محمّد بن عبد الرّحمن الحضرمي، عن عبد الرّحمن بن محمّد بن عتاب، عن يوسف بن عبد الله النّمري، عنه إجازة، ومات سنة اثنين وأربعمائة»[1].

وقد ذكر الإمام ابن عبد البرّ أنّ الدَّاوُدِيّ كتب إليه بإجازة ما رواه وألّفه[2]، وهكذا وصلت إجازة الدَّاوُدِيّ ابن عبد البرّ إلى الحافظ ابن حجر عن طريق شيوخه، أمّا الإمام بدر الدّين العيني؛ فقد ورد في كتابه (عمدة القاري) ما دلّ على أنّه كان يملك نسخة من كتاب الدَّاوُدِيّ، فقد قال: «ووقع في كتاب الدَّاوُدِيّ، وابن التين[3] أنّ عبد الرّحمن الواقع في رواية البخاري هو ابن عبد يغوث ...»[4].

2. «النّامي في شرح الموطّأ».

وهذا المؤلَّف مذكور كذلك في جميع المصادر التي ترجمت للدَّاوُدِيّ، وكذا سمّاه ابن فرحون في الدّيباج. وذكر القاضي عياض وغيره أنّه أملاه بطرابلس، قبل أن يرحل إلى تلمسان، وهذا يعني أنّ شرحه للموطّأ سابقٌ لشرحه لصحيح البخاري. وقد تحدّث ابن خير الإشبيلي عن تفسير الموطأ للدّاودي (النامي) فقال: «حدّثني به أبوبكر محمّد بن أحمد بن طاهر رحمه الله، قال: حدّثني به أبو عليّ الغسّاني، قال: حدّثنا به أبو القاسم حاتم بن محمد الطرابلسي، حدّثنا به أبوعبد الملك مروان بن علي القطّان ويُعرف بالبوني، صاحب الفقيه بطرابلس، وسكن معه مدّة من خمس أعوام ... وحدّثني به أيضا أبو محمّد بن عتّاب، عن حاتم بن محمد الطرابلسي، نسبه المتقدّم»[5].

(1) ابن حجر، المعجم المفهرس: ص398.

(2) ابن حجر، المعجم المفهرس: ص:398؛ ابن خير، فهرسة ابن خير الإشبيلي: ص392.

(3) هو الإمام أبو محمّد عبد الواحد بن التين الصفاقسي، نسبة إلى صفاقس بتونس، المتوفّى سنة 611هـ. ويُعدّ المصدر الرئيس لآراء الدَّاوُدِيّ، وأقواله، واجتهاداته، ففي غياب نسخة من شرح صحيح البخاري؛ لا يوجد أمامنا إلاّ ما نقله عنه ابن التين في شرحه، وعن طريقه نقل ابن حجر وبدر الدّين العيني كثيرًا من آراء الدَّاوُدِيّ وأقواله.

(4) العيني، عمدة القاري: 302/2.

(5) ابن خير، فهرسة ابن خير الاشبيلي: ص392.

وقد أجمع الجميع على نسبة هذا الكتاب إليه، وهو كذلك، ولكن المتأخرين أشاروا إلى أنّ نسخة من هذا الكتاب توجد بخزانة القرويين برقم: 175، وهكذا انتشر خبر هذه النّسخة، وتناقل ذلك بعض من عرض لذكر الإمام الدَّاوُدِيّ، حتى صار ذلك أشبه باليقين[1].

وقد ذكر عبد الرّحمن الجيلالي أنّه توجد نسخة منه بمكتبة القرويين بفاس برقم: 527[2]، إلاّ أنّ الحسين بن محمّد شوّاط يقول بوجود جزء منه فقط، ويحيلنا على فهارس مكتبة القرويين: 181/1، رقم المخطوط: 175[3].

وقد كان الظنّ كذلك أنّ منه نسخة بخزانة القرويين تحمل رقم: 175، حتّى وفّق الله تعالى عبد العزيز دحّان –جزاه الله خيرًا–، وأثبت أنّ هذه النّسخة ليست كتاب النّامي، وإنّما هي تفسير الموطّأ للإمام عبد الملك البوني، تلميذ الدَّاوُدِيّ، وقد قام بتحقيقه، وقد تولّت وزارة الأوقاف القطرية طباعته، وأمّا كتاب النّامي في شرح الموطأ؛ فهو مفقود، نسأل الله عزّ وجلّ أن ييسّر العثور على نسخة منه، فهو كتابٌ جليلٌ حاز به الفضل على غيره، من جميع من تقدّمه، أو تأخّر عنه، من علماء الإسلام.

3. كتاب التفسير[4].

«تفسير القرآن المجيد»، ذكر ذلك عبد الرّحمن الجيلالي وقال: «إنّ المفسّر عبد الرّحمن الثعالبي قد نقل عنه في كتابه الجواهر الحسان، وكذا غيره من المفسّرين»[5]، قال الثعالبي (ت875هـ): «وقال أحمد بن نصر الدَّاوُدِيّ في تفسيره ...»[6]، بل قال مصرّحًا: «ومهما ذكرت الدَّاوُدِيّ في هذا المختصر؛ فإنّما أريد أحمد بن

(1) انظر: الفاسي، محمد العابد، ***فهارس مخطوطات خزانة القرويين***، ط1، دار الكتاب، الدّار البيضاء، المغرب، 1399هـ/1979م: 181/1؛ عبد العزيز بن عبد الله، ***الموسوعة المغربية للأعلام البشرية والحضارية***، مطبوعات وزارة الأوقاف والشّؤون الإسلامية بالمغرب 156/36؛ شوّاط، الحسين بن محمّد، ***مدرسة الحديث في القيروان من الفتح الإسلامي إلى منتصف القرن الخامس الهجري***، ط1، الدار العالمية للكتاب الإسلامي، 1411هـ: 275/1.

(2) الجيلالي، عبد الرحمن، تاريخ الجزائر العام: 272/1.

(3) شوّاط، الحسين بن محمّد، مدرسة الحديث بالقيروان: 275/1.

(4) قد يقول قائلٌ: لعلّ المراد بكتاب التفسير تفسير الموطّأ، وهذا بعيد؛ لأنّ كتاب تفسير الموطّأ لتلميذه عبد الملك البوني، وقد مرّ معنا أنّ الإمام الدَّاوُدِيّ شرح الموطّأ في كتاب سمّاه النّامي.

(5) الجيلالي، تاريخ الجزائر العام: 272/1.

(6) الثعالبي، أبو زيد عبد الرحمن بن محمّد (ت875هـ)، ***الجواهر الحسان في تفسير القرآن***، تحقيق: عليّ محمّد معوّض، وعادل أحمد عبد الموجود، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1418هـ/1983م: 69/1.

نصر المالكيّ، ومن تفسيره أنا أنقل»[1]، وهذا يؤكّد أنّ للدَّاوُدِيّ تفسيراً للقرآن الكريم، ومنه كان ينقل الثعالبي.

ولعلّ مثل هذه الدّراسات تعجّل في الكشف والعثور على هذا الكتاب المفقود، أو خدمته، وإتحاف أهل العلم به، ويومئذ يفرح طلاّب العلم بفضل الله تعالى.

4. الواعي في الفقه

ولا شك أنّه في الفقه المالكي.

5. الإيضاح في الرّد على البكرية

وهو كتابٌ يردّ فيه على إحدى الفرق الكلامية المنحرفة، واختلفت المصادر في اسمها؛ فمنهم قال: هي القدرية[2]، ومنهم من قال: الفكرية[3]، ومنهم من قال: البكرية. والصّواب هو ما ذهب إليه الذهبي في تاريخ الإسلام[4]، وهي البكرية، والطّائفة البكرية نسبةً إلى زعيمها القاسم عبد الرّحمن بن محمد بن عبد الله البكري الصّافي، نزيل القيروان، الذي ادّعى رؤية الله في اليقظة، وقد ألّف الإمام ابن أبي زيد القيرواني، وهو معاصر للدّاودي، كتابا سمّاه: «الاستظهار في الرّد على البكرية»، لذا لا يبعد أن يكون مؤلَّف الدَّاوُدِيّ هذا؛ مشاركة منه مع فقهاء القيروان في الرّدّ على هذه الطائفة الضّالّة؛ والله أعلم.

6. كتاب البيان

ذكره القاضي عياض[5]، ونقله عنه غيره، وهو مفقود، ولا يُعلم شيءٌ عن موضوعه. وقد ذكر بعض الباحثين[6] أنّه ربّما يكون كتابًا في أصول الفقه، ويحتمل أن يتعلّق بقسم دلالات الألفاظ وتفسيرها، وأوجه بيان النّصوص الشرعية للأحكام؛ والله أعلم.

---

(1) المصدر نفسه: 163/1. وهذا النّص صريح من الثعالبي لا يحتمل التّأويل في إثبات نسبة كتاب في التّفسير للإمام الدَّاوُدِيّ، رغم أنّ كلّ من تقدّمه ممّن ترجم للدّاودي لم يذكر أنّ له كتابًا في التّفسير، وكلّ من قال بوجوده فعمدته الثعالبي.

(2) انظر: ابن فرحون، الدّيباج: 35/1؛ مخلوف، شجرة النور: ص11؛ الحجوي، الفكر السّامي: 121/2؛ الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف: 102/2.

(3) عياض، ترتيب المدارك: 102/7؛ الأنصاري، نفحات النسرين: ص71.

(4) الذهبي، تاريخ الإسلام: 56/28.

(5) عياض، ترتيب المدارك: 103/7.

(6) ذكر ذلك محقّقا كتاب الأموال للدَّاوُدِيّ: محمد أحمد سراج، وعلي جمعة محمد: ص45.

7. كتاب الأسئلة والأجوبة

ذكره العلمي في نوازله[1]، وذكر فؤاد سزكين أنّ منه نسخة مخطوطة بجامع الزيتونة بتونس برقم: 10486[2]، وفي الموسوعة المغربية أنّ منه نسخة بالخزانة العامة بالرّباط برقم: 8178[3].

8. كتاب الأصول

ذكره القاضي عياض وغيره[4]، وربما يكون في أصول المذهب المالكي، والله أعلم، وهو كتاب مفقود.

9. كتاب الأموال

وهو كتاب مطبوع، وهو من أوائل الكتب التي ألّفت في هذا الموضوع، والكتاب طبع أكثر من طبعة:

– الطبعة الأولى: طبعة مركز إحياء التراث المغربي بالرّباط، سنة 1988م، بتحقيق الأستاذ رضا محمد سالم شحّادة، (رسالة جامعية)، وتحقيقه جيد.

– الطبعة الثانية: طبعة دار الحامد، عمّان، سنة 2001م، بتحقيق محمّد حسن الشّلبي[5].

– الطبعة الثالثة: طبعة دار السلام، دراسة وتحقيق: مركز الدراسات الفقهية والاقتصادية، من تحقيق الأستاذين: محمّد أحمد سراج، وعلي جمعة محمّد[6].

ولهذا الكتاب نسختين مخطوطتين:

الأولى: النّسخة بمكتبة الاسكوريال برقم: 1/1165، كتبت سنة 677هـ[7].

الثانية : نسخة الرباط، وهي الخزانة العامة بالرّباط، ورقمها 98 أوقاف[8].

---

(1) العلمي، عيسى بن علي الحسني، ***النوازل***، تحقيق: المجلس العلمي بفاس، وزارة الأوقاف، 1403هـ/1983م: 266/2.

(2) سزكين، فؤاد، ***تاريخ التراث العربي***، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1978م: 175/3.

(3) عبد العزيز بن عبد الله، الموسوعة المغربية للأعلام البشرية والحضارة: 156/3.

(4) عياض، ترتيب المدارك: 103/7.

(5) قال الأستاذ عبد العزيز دخان: «والحقيقة أنّ هذا المحقّق قد أسرف على نفسه، وارتقى مرتقًى صعبًا، وأساء إلى الكتاب إساءة بالغة، وجانب قواعد التحقيق العلمي المتّبعة، والمعروفة بين العلماء، وكشف عن عجز واضح في هذا الباب، كان الأولى تركه مستورًا». الإمام أحمد بن نصر الدّاودي محدّثًا وفقيهًا: ص84.

(6) ذكر رضا محمد سالم شحادة أنّ هذا التحقيق مسروق من دراسته هو وتحقيقه للكتاب، انظر: كتاب الأموال، تحقيق: رضا محمد سالم شحادة، طبعة مركز إحياء التراث المغربي، الرباط، المغرب، 1988م: ص5.

(7) انظر: الدَّاوُدِيّ، الأموال، دراسة وتحقيق: مركز الدراسات الفقهية والاقتصادية، ط4، دار السلام: ص45.

(8) المصدر نفسه: ص46.

10. آداب القضاء[1].

جاء في نوازل الشريف العلمي، عن أبي العبّاس أحمد بن علي الرّقاق، قال: «كان بطرابلس، ثمّ انتقل إلى تلمسان، وبها ألّف كتبا كثيرة، منها: النّصيحة في شرح كتاب البخاري».

وقال أيضا: «كان إمامًا متقنًا ... توفّي بتلمسان، سنة 442هـ»[2].

وهذا النّص يفيدنا، أنّ صيغة التكثير (كتبا كثيرة) المذكورة تدلّ على أنّ له كتبًا أخرى غير ما ذكر في ترجمته؛ والله أعلم، ونأمل أن تكشف الأيّام والدّراسات عن هذه الكنوز الضّائعة.

هذه الكتب الّتي ذكرها المترجمون، ولا يقتضي هذا الذّكر الحصر، فلقد أشار القاضي عياض إلى ذلك عند ذكره لكتاب (البيان) للدّاودي، فقال: «وغير ذلك»[3]، وهذا يعني أنّ للدّاودي كتبا أخرى؛ كان القاضي يعرفها، لكنّها لم تصل إلينا.

ويجدر بنا التنبيه في ختام مبحث مؤلّفات الدَّاوُدِيّ وكتبه؛ إلى مسألة أشار إليها بعض المحقّقين، وهي أنّ اختفاء وفَقْد كتب الإمام الدَّاوُدِيّ مردُّه لما عرف بنكبة المذهب المالكي الثانية في المغرب العربي، إشارة إلى الأحداث السّياسية التي حدثت أواخر القرن السّادس وأول السّابع، وهو العصر الذي ازدهر فيه المذهب الظاهري لابن حزم الأندلسي (ت456هـ)، إذْ أنّ كثيرًا من الكتب الفقهية والحديثية فُقدت إمّا بالإحراق، أو بالإخفاء، ولعلّ مؤلفات الإمام الدَّاوُدِيّ تكون من ضمنها؛ والله أعلم.

ولقد نقل المراكشي (ت706هـ) في كتابه: «في أيّامه [أي: أيّام يعقوب بن يونس بن عبد المؤمن[4]] انقطع علم الفروع، وخافه العلماء، وأمر بإحراق كتب المذهب بعد أن يجرّد ما فيها من أحاديث رسول الله ﷺ والقرآن، فأحرق منها جملة في سائر البلاد، كمدوّنة سحنون، وكتاب ابن يونس، ونوادر ابن أبي زيد

(1) ذكر هذا المؤلَّف الباحث الجزائري في المخطوطات؛ بلقاسم بشير ضيف، في: ***فهرسة معلمة التراث الجزائري***، ط2، مكتبة طريقة العلم، مراجعة: عثمان بدري، د.ت: ص199.

(2) الحفناوي، تعريف الخلف برجال السّلف: 101/2، والصّواب أنّه توفي سنة 402هـ. هذه الدّراسة الموجزة لبعض مؤلفاته، تعطينا رؤية واضحة عن شخصيته العلمية الفذة، شخصية لم يكن لها نصيب وافر من الشّهرة والمعرفة، إلاّ من خاصة العلماء الذين ينقلون عنه، والحقّ يقالك أنّ الإمام الدَّاوُدِيّ فقيه، ومحدّث، ومفسّر، وإمام من أئمّة المالكية الأعلام، الذين دافعوا بحق عن عقيدة أهل السّنة.

(3) عياض، ترتيب المدارك: 103/7.

(4) يعقوب بن يونس بن عبد المؤمن بن علي، الذي تولى الإمارة على المغرب من سنة 580هـ إلى سنة 595هـ، فقد أعلى العمل بالمذهب الظاهري، انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء: 312/21.

ومختصره، وكتاب التهذيب للبراذعي، وواضحة ابن حبيب، وما جانس هذه الكتب ونحا نحوها، لقد شهدت منها وأنا يومئذ بمدينة فاس؛ أن يؤتى منها بالأحمال، فتوضع ويطلق فيها النّار»[1].

ولعلّ ما نقله عياض في مداركه من إنكار الداودي على أهل القيروان سكناهم في مملكة بني عبيد، وبقائهم بين أظهرهم[2]؛ كان سببا في تلك القطيعة التي كلفّته هذا الإهمال لتاريخه، وأنّ يبقى في دائرة النّسيان، ولولا أنّ قيّض الله له تلميذًا نبيهًا هو البوني، وكذلك الحال مع أبي بكر ابن أبي زيد، فوصلت مؤلّفاته عن طريقهما إلى العلماء في الآفاق؛ لما عرفنا شيئًا عنه البتّة.

ولعلّ هذه الحادثة والخصومة التي وقعت بين الدَّاوُدِيّ وعلماء القيروان؛ تحتاج إلى بحث واستفاضة، وإلمام بالظروف التي عاشها الدَّاوُدِيّ، فحملته على هذه الفتوى، فلسنا بصدد الترجيح والتّصويب والتّخطئة، فلا شك أنّ الحكم على الشيء فرع من تصوّره، فكلّ فريق كان له تصوّره للمفسدة والمصلحة، ومآلات الأمور، فنسأل الله عزّ وجلّ، أن يثيب كلّ مجتهد على اجتهاده. ولعلّ بعد هذه المحطات في ترجمة هذا العالم يمكن القول إنّ هذه الفتوى هي السّبب في عدم اعتناء معاصريه بترجمته.

ثانيا: وفاته

بعد حياة حافلة بالتعلّم والتعليم، والتّأليف والدّفاع عن العقيدة، ومجادلة العلماء استقرّ الدَّاوُدِيّ في تلمسان، حتّى وفّاه الأجل سنة 402هـ/1011م، ودفن بباب العقبة، أو بالتحديد شرقي العقبة [3]، وهذا التّاريخ هو القول الصّحيح الذي سار عليه جمهور المترجمين، خلافًا لما ذكره الشريف العلمي في نوازله[4]؛ أنّه توفّي سنة 442هـ، وقول ابن مخلوف[5] أنّه توفّي سنة 440هـ، وذلك لثبوت هذا التاريخ من قِبَل من عاصره من العلماء، فقد نقل عياض عن حاتم الطرابلسي أنّ الدَّاوُدِيّ قد توفي سنة 402هـ [6]، واعتمده عياض.

قال في المدارك بعد أن ذكر هذا التّاريخ: «وقرأت في بعض التّواريخ أنّ وفاته سنة إحدى وعشرين، والأوّل أصحّ»[7]، يعني سنة 402هـ.

---

(1) المراكشي، عبد الواحد بن علي التميمي (ت647هـ)، ***المعجب في تلخيص أخبار المغرب***، تحقيق: محمد سعيد العريان، ومحمد العربي العلمي، ط1، مطبعة الاستقامة، القاهرة، 1386هـ/1949م: ص65.

(2) عياض، المدارك: 103/7.

(3) ابن خير، فهرسة ابن خير الإشبيلي: ص76؛ العيني، عمدة القاري: 298/13؛ ابن حجر، المعجم المفهرس: 398/1؛ ابن فرحون، الديباج المذهب: 35/1؛ الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف: 10/2، 568.

(4) الجيلالي، تاريخ الجزائر العام: 272/1؛ عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر: 47/1.

(5) مخلوف، شجرة النور: ص11.

(6) حاتم الطرابلسي لم يسمع من الدَّاوُدِيّ، وإنّما أخذ كتاب النّامي عن البوني عن الدَّاوُدِيّ. انظر: فهرسة ابن خير الإشبيلي: ص87.

(7) عياض، المدارك: 104/7.

وكان معدودًا في أولياء تلمسان المشهورين، فهذا ابن مرزوق ينقل إلينا في مسنده[1]؛ أنّ أبا الحسن المرّيني كان يزور قبره وقبر ابن غزلون (ت520هـ)، وأبي مدين (ت594هـ)، وغيرهم بتلمسان.

وقد نقل المقّري (ت1041هـ) في نفح الطّيب عن ابن عرفة يمدح مدينة تلمسان، وأنّ من مفاخرها أن يكون الدَّاوُدِيّ مدفونًا بها، فقد قال في رجز علم الحديث[2]:

وَمَنْ بِهَا أَهْلُ ذَكَاءٍ وَفِطَنْ ... يَكْفِيكَ أَنَّ الدَّاوُدِيّ بِهَا دُفْنْ

فِي رَابِعٍ مِنَ الأَقَالْيمِ قَطَنْ ... مَعَ ضَجِيعِهِ ابْنِ غَزْلُونَ الفَطِنْ [3]

وحكى الجزولي التلمساني في شرحه المسمّى «كعبة الطّائفين»؛ أنّ الشيخ أبا مدين شعيب التلمساني الإمام المشهور (ت594هـ) مشى إلى قبره زائرًا مرحلةً تامّة، أي: من وادي يسّر إلى قبره[4].

وقال عبد الوهّاب بن منصور (ت1429هـ): «توفّي بتلمسان سنة 402هـ، ودُفن بباب العقبة، وعليه قبّة يقصدها اليوم الجهّال، سيّما النّساء منهم للأغراض التي تقصد لها الأضرحة والمزارات، ويعرفها الخاصّ والعامّ»[5].

فرحم الله الإمام الدَّاوُدِيَّ رحمة واسعة، وجزاه الله خيرا عن تأليفه وعن منافحته عن السنّة، وعن معتقد أهلها.

وقال علّامة وهران الأستاذ الشريف الأطرش السنوسي (ت1424هـ) -رحمه الله-: «قد يغمر الإنسان حيًّا، ويُكرم ميّتًا، وهو أحد شخصين :شخص احتاط لعمله أن يكون بعيدًا عن أعين النّاس، ليكون خالصًا لله، وشخص عاش بين قوم لا يدركون قيمة عمله، فيموت ويبقى عمله. وقد يكرم حيًّا وينسى ميّتاً، وهو من له مع النّاس رباط ماديّ، فإذا مات ماتت معه مادّته، كأن لم تغن بالأمس»[6].

---

(1) ابن مرزوق، أبو عبد الله محمد بن أحمد العجيسي التلمساني (ت842هـ)، ***المسند الصّحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا الحسن التلمساني***، تحقيق: ماريا حسوس بيقيرا، المكتبة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1401هـ/1981م: ص163-164.

(2) المقّري، شهاب الدّين أحمد بن محمّد التلمساني (ت1041هـ)، ***نفح الطّيب من غصن الأندلس الرّطيب***، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1388هـ: 433/5.

(3) ابن غزلون: هو أحمد بن علي بن غزلون، أبو جعفر الأموي الأندلسي، روى عن أبي الوليد الباجي، توفّي بالعدوة في نحو العشرين وخمسمائة أو بعدها. انظر: الذهبي، تاريخ الإسلام: 437/35، 270/41؛ الذهبي، سير أعلام النّبلاء: 151/21؛ ابن الآبار، التكملة لكتاب الصّلة: 358/1، 40/3.

(4) الحفناوي، تعريف الخلف برجال السّلف: 568/2.

(5) جريدة البصائر، العدد (201)، 1952م: ص2.

(6) الأطرش، أحمد الشريف بن آغا الشارف بن الحاج السنوسي (ت1424هـ)، ***تيسير الوصول إلى فقه الأصول***، دار الغرب، 2000م: 322/1.

وقال الشيخ البشير الإبراهيمي (ت1385هـ): «يموت العظماء؛ فلا يندر منهم إلاّ العنصر الترابي الذي يرجع إلى أصله، وتبقى معانيهم الحيّة في الأرض قوّة تحرّك، ورابطة تجمع، ونورًا يهدي، وعطرًا ينعش، وهذا هو العظمة، وهذا كون العظمة خلودًا»[1].

فيموت علماؤنا ولا يندثر منهم إلاّ العنصر الترابي، وتبقى أعمالهم ومصنّفاتهم شاهدة على ما قدّموه من خير لدينهم وأمّتهم.

والله نسأل أن نكون قد وفّقنا إلى تجلية جوانب من سيرة الإمام أبي جعفر أحمد بن نصر الدَّاوُدِيّ المالكي التلمساني، رجاء أن يعرفه طلاّب العلم، ويعرفوا طرفًا من أخباره وجهوده في نشر العلم والفقه بين أهل زمانه.

(1) مقالة نشرت في ذكرى وفاة الامام عبد الحميد بن باديس، جريدة البصائر، العدد (151)، 1951/04/16م. انظر: ***آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي***، جمع وتقديم: نجله أحمد طالب الإبراهيمي، ط1، دار الغرب الإسلامي، 1997هـ: 588/3.

الخاتمة:

الحمد الله الذي بنعمته تتمّ الصالحات، وله الحمد في الأولى والآخرة، لا يسعني في خاتمة هذا البحث، إلاّ أن أسجّل أهمّ النّتائج المتوصّل إليهان ويمكن تلخيصها في الآتي:

1. إنّ أرض الجزائر شهدت على مرّ الزّمان وتعاقب الأعصار؛ حركةً علميةً زاخرةً في كلّ مجالات العلوم، وأنجبت الفحول والفطاحل من الفقهاء والعلماء والمفسّرين، من أمثال العلامة الدّاوديّ.

2. سجّلتُ في هذا البحث جملة من الفوائد عن حياة الدّاودي، وشخصيّته العلمية، فجاءت هذه الدراسة ترجمةً موسّعة للداودي، خلافًا لسابقاتها.

3. أمطت بهذه الدّراسة اللّثام عن جوانب خفّية في حياة الداودي، كعصاميته في طلب العلم، ودخوله القيروان، وآثاره العلمية.

4. أبرزت الدراسة تراث الإمام الدّاودي الذي ما زال يحتاج إلى تحقيق ودراسة، وتسليط الضوء على جوانب أخرى من حياته، وإسهاماته العلمية.

قائمة المصادر والمراجع

1. ابن الآبار، أبو عبد الله محمّد بن عبد الله القضاعي البلنسي (ت659هـ)، ***التكملة لكتاب الصّلة***، تحقيق: عبد السلام الهراس، دار الفكر للطباعة، لبنان، 1415هـ/1995م.
2. الإبراهيمي، محمد البشير (ت1385هـ)، ***آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي***، جمع وتقديم: نجله أحمد طالب الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1997هـ.
3. ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم الجزري (ت630هـ)، ***الكامل في التاريخ***، تحقيق: عبد الله القاضي، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، 1415هـ.
4. ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم الجزري (ت630هـ)، ***اللباب في تهذيب الأنساب*** (الأنساب للسمعاني)، دار صادر، بيروت، 1400هـ/1980م.
5. اسكندر، محمد المختار، ***المفسّرون الجزائريون عبر القرون***، مطبعة دحلب، الجزائر، د.ت.
6. الأطرش، أحمد الشريف بن آغا الشارف بن الحاج السنوسي (ت1424هـ)، ***تيسير الوصول إلى فقه الأصول***، دار الغرب، 2000م.
7. الأنصاري، أحمد بن الحسين النّائب، ***نفحات النّسرين والرّيحان فيمن كان بطرابلس من الأعيان***، تقديم وتعليق: محمّد زينهم، محمّد عزب، دار الفرجاني.
8. البرزلي، أبو القاسم بن أحمد البَلَوي القيرواني (ت841هـ)، ***فتاوى البرزلي: جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتين والحكّام***، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2002م.
9. ابن بشكوال، أبو القاسم خلف بن عبد الملك (ت578هـ)، ***الصلة في تاريخ أئمة الأندلس***، تحقيق: إبراهيم الأبياري، ط1، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1410هـ/1989م.
10. بوعزيز، يحي، ***أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة***، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1995م.
11. الثعالبي، أبو زيد عبد الرحمن بن محمّد (ت875هـ)، ***الجواهر الحسان في تفسير القرآن***، تحقيق: عليّ محمّد معوّض، وعادل أحمد عبد الموجود، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1418هـ/1983م.
12. الجيلالي، عبد الرحمن، ***تاريخ الجزائر العامّ***، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1400هـ/1980م.

13. ابن الحاجب، أبو عمرو عثمان بن عمر (ت646هـ)، ***جامع الأمهات***، تحقيق: أبو عبد الرحمن الأخضر الأخضري، ط2، دار اليمامة، 2000م.
14. ابن حجر، أبو الفضل أحمد بن علي العسقلاني (ت852هـ)، ***المعجم المفهرس أو تجريد أسانيد الكتب المشهورة والأجزاء المنثورة***، تحقيق: محمد شكور الميادیني، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1418هـ/1988م.
15. الحجوي، محمد بن الحسن العربي بن محمد الثعالبي (ت1376هـ)، ***الفكر السّامي في تاريخ الفقه الإسلامي***، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1416هـ/1995م.
16. حسن علي حسن، ***الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس (عصر المرابطين)***، ط1، مكتبة الخانجي، مصر، 1980م.
17. الحطّاب، أبو عبد الله محمّد بن عبد الرّحمن (ت902هـ)، ***مواهب الجليل شرح مختصر الخليل***، ط3، دار الفكر، بيروت، 1992م.
18. الحفناوي، أبو القاسم محمد بن الشيخ بن أبي القاسم الديسي (ت1360هـ)، ***تعريف الخلف برجال السلف***، مطبعة بيير فونتانة الشرقية، الجزائر، 1906م.
19. الحموي، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي (ت626هـ)، ***معجم البلدان***، دار الفكر، بيروت.
20. الحميدي، أبو عبد الله محمّد بن فتوح الأزدي الميورقي (ت488هـ)، ***جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس***، تحقيق: إبراهيم الأنباري، ط2، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1403هـ/1983م.
21. الخزاعي، أبو الحسن علي بن محمد ابن ذي الوزارتين (ت789هـ)، ***تخريج الدّلالات السّمعية***، تحقيق: أحمد محمد أبو سلامة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، 1401هـ/1981م.
22. الخطيب البغدادي، الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي (ت463هـ)، ***الرحلة في طلب الحديث***، تحقيق: نور الدين عتر، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1395هـ.
23. ابن خير الإشبيلي، أبوبكر محمد (ت575هـ)، ***فهرسة ابن خير الإشبيلي***، تحقيق: محمّد فؤاد منصور، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1419-1998م.
24. الدبّاغ، عبد الرحمن بن محمد الأنصاري، ***معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان***، ط2، مكتبة الخانجي، مصر، المكتبة العتيقة، تونس، 1388هـ.
25. دخّان، عبد العزيز، ***الإمام أحمد بن نصر الدَّاوُدِيّ محدّثًا وفقيهًا***، ط1، مكتبة الصحابة، الشارقة، 2008م.

26. دحّان، عبد العزيز، ***موسوعة الإمام العلاّمة أحمد بن نصر الدَّاوُدِيّ المسيلي التلمساني المالكي، في اللغة والحديث والتفسير والفقه***، ط1، دار المعرفة الدولية.
27. الدسوقي، محمد بن أحمد بن عرفة (ت1230هـ)، ***حاشية الدّسوقي على الشرح الكبير***، دار الفكر، بيروت.
28. الذهبي، أبو عبد الله محمّد بن أحمد (ت748هـ)، ***تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام***، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1407هـ/1987م.
29. الذهبي، أبو عبد الله محمّد بن أحمد (ت748هـ)، ***تذكرة الحفاظ***، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
30. الذهبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت748هـ)، ***سير أعلام النّبلاء***، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، محمد نعيم العرقسوسي، ط9، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1413هـ.
31. ابن رشد، أبو الوليد محمد بن أحمد القرطبي (ت520هـ)، ***البيان والتحصيل والشرح والتوجيه لمسائل المستخرجة***، مطبعة المتوسطة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1404هـ/1984م.
32. الزركلي، خير الدين بن محمود (ت1396هـ)، ***الأعلام***، ط15، دار العلم للملايين، 2002م.
33. زغيبة، عزّ الدّين، ***أحمد بن نصر الدَّاوُدِيّ الطرابلسي التلمساني حياته وآثاره***، ضمن: (أعمال ندوة التواصل الثقافي بين أقطار المغرب العربي وتنقلات العلماء والكتب).
34. سبع، قادة، ***المذهب المالكي بالمغرب الأوسط حتى منتصف القرن الخامس الهجري (11م)***، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2003م-2004م.
35. سزكين، فؤاد، ***تاريخ التراث العربي***، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1978م.
36. السمعاني، عبد الكريم بن محمد بن منصور (ت562هـ)، ***كتاب الأنساب***، تحقيق: عبد الرحمن بن يحي معلّمي، ط1، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الهند، 1382هـ/1962م.
37. السهيلي، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله (ت581هـ)، ***الروض الأنف في تفسير سيرة ابن هشام***، مكتبة الكليات الأزهرية، مصر.
38. الشاطبي، إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي (ت790هـ)، ***الموافقات في أصول الشريعة***، تحقيق: عبد الله دراز، دار المعرفة، بيروت.
39. شوّاط، الحسين بن محمّد، ***مدرسة الحديث في القيروان من الفتح الإسلامي إلى منتصف القرن الخامس الهجري***، ط1، الدّار العلمية للكتاب الإسلامي، 1411هـ.

40. شوّاط، الحسين بن محمّد، ***مدرسة الحديث في القيروان من الفتح الإسلامي إلى منتصف القرن الخامس الهجري***، ط1، الدار العالمية للكتاب الإسلامي، 1411هـ.
41. ابن صعد، محمّد بن أحمد التلمساني (ت901هـ)، ***النّجم الثاقب فيما لأولياء الله من مفاخر المناقب***، تحقيق: محمّد أحمد الديباجي، ط1، دار صادر، بيروت، 1432هـ/2011م.
42. ضيف، بلقاسم بشير، ***فهرسة معلمة التراث الجزائري***، ط2، مكتبة طريقة العلم، مراجعة: عثمان بدري، د.ت.
43. العبادي، أحمد المختار، ***سياسة الفاطميين نحو المغرب***، صحيفة المعهد المصري، مدريد، 1957م.
44. عبد العزيز بن عبد الله، ***الموسوعة المغربية للأعلام البشرية والحضارية***، مطبوعات وزارة الأوقاف والشّؤون الإسلامية بالمغرب.
45. العراقي، أبو الفضل عبد الرحيم بن الحسين (ت806هـ)، ***طرح التثريب في شرح التقريب***، تحقيق: عبد القادر محمّد علي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2000م.
46. العلمي، عيسى بن علي الحسني، ***النوازل***، تحقيق: المجلس العلمي بفاس، وزارة الأوقاف، 1403هـ/1983م.
47. ابن عياض، محمد بن القاضي عياض، **التعريف بالقاضي عياض**، تحقيق: محمد بن شريفة، ط2، وزارة الأوقاف المغربية، 1402هـ.
48. عياض، أبو الفضل بن موسى اليحصبي السبتي (ت544هـ)، ***ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك***، تحقيق: ابن تاويت الطنجي وآخرون، ط1، مطبعة فضالة، المحمدية، المغرب.
49. عياض، أبو الفضل بن موسى اليحصبي السبتي (ت544هـ)، ***الغنية (فهرست شيوخ القاضي عياض اليحصبي)***، تحقيق: محمد بن عبد الكريم، الدار العربية للكتاب، تونس، 1979م.
50. عياض، أبو الفضل عياض بن موسى اليحصبي (ت544هـ)، ***إكمال المعلم في شرح مسلم***، تحقيق: يحيى إسماعيل، ط1، دار الوفاء، مصر، 1998م.
51. العيني، بدر الدّين أبو محمد محمود بن أحمد (ت855هـ)، ***عمدة القاري شرح صحيح البخاري***، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
52. أبو فارس، حمزة، ***أحمد بن نصر الدَّاوُدِيّ الطرابلسي الفقيه المحدّث: حياته وآثاره، مع تذييل ببعض فتاويه***، ضمن (أعمال ندوة التواصل الثقافي بين أقطار المغرب العربي).

53. الفاسي، محمد العابد، ***فهارس مخطوطات خزانة القرويين***، ط1، دار الكتاب، الدّار البيضاء، المغرب، 1399هـ/1979م.

54. ابن فرحون، إبراهيم بن علي اليعمري (ت799هـ)، ***الدّيباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب***، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

55. ابن الفرضي، أبو الوليد عبد الله بن محمد (ت403هـ)، ***تاريخ علماء الأندلس***، اعتنى به: عزّت العطّار الحسيني، ط2، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1408هـ/1988م.

56. القرافي، أبو العبّاس أحمد بن إدريس (ت684هـ)، ***الذخيرة***، تحقيق: محمّد حجّي وغيره، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1994م.

57. الكتاني، محمد عَبْد الحَيّ بن عبد الكبير (ت1382هـ)، ***فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات***، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1402هـ.

58. كحالة، عمر رضا، ***معجم المؤلّفين***، مكتبة المثنى، بيروت، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

59. المازري، أبو عبد الله محمّد بن علي (ت536هـ)، ***المعلم بفوائد مسلم***، تحقيق: محمد الشاذلي النيفر، ط2، الدار التونسية، تونس، المؤسّسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1988-1991م.

60. المالكي، أبو بكر عبد الله بن محمد، ***رياض النّفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونسّاكهم***، تحقيق: بشير البكوش، دار الغرب الإسلامي، بيروت.

61. مجموعة من الباحثين، ***الموسوعة الفقهية الكويتية***، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، (من 1404هـ إلى 1427هـ).

62. مجموعة من العلماء والباحثين، ***الموسوعة العالمية العربية***، ط2، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، 1419هـ/1999م.

63. مخلوف، محمد، ***شجرة النور الزكية في طبقات المالكية***، المطبعة السلفية، القاهرة، مصر، 1349هـ.

64. المراكشي، عبد الواحد بن علي التميمي (ت647هـ)، ***المعجب في تلخيص أخبار المغرب***، تحقيق: محمد سعيد العريان، ومحمد العربي العلمي، ط1، مطبعة الاستقامة، القاهرة، 1386هـ/1949م.

65. ابن مرزوق، أبو عبد الله محمد بن أحمد العجيسي التلمساني (ت842هـ)، ***المسند الصّحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا الحسن التلمساني***، تحقيق: ماريا حسوس بيقيرا، المكتبة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1401هـ/1981م.

66. ابن مريم، أبو عبد الله محمد بن محمد التلمساني (ت1020هـ)، ***البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان***، المطبعة الثعالبية، الجزائر، 1908م.

67. المصلح، محمد، ***أبو الحسن اللخمي وجهوده في تطوير الاتجاه النقدي في المذهب المالكي في الغرب الإسلامي***، ط1، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، دبي، 1428هـ.

68. المقدسي، علي بن المفضَّل (ت611هـ)، ***الأربعين المرتبة على طبقات الأربعين***، تحقيق: محمد سالم بن محمد بن جمعان العبادي، أضواء السلف، السعودية.

69. المقّري، شهاب الدّين أحمد بن محمّد التلمساني (ت1041هـ)، ***نفح الطّيب من غصن الأندلس الرّطيب***، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1388هـ.

70. المكناسي، أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت917هـ)، ***مجالس القضاة والحكّام والتّنبيه والإعلام فيما أفتاه المفتون وحكم به القضاة من الأوهام***، تحقيق: نعيم عبد العزيز سالم الكيثري، ط1، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، دبي، 1423هـ/2002م.

71. النووي، أبو زكريا محيي الدّين يحي بن شرف (ت676هـ)، ***المجموع شرح المهذّب***، دار الفكر، بيروت، 1997م.

72. نويهض، عادل، ***معجم أعلام الجزائر***، ط2، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت، لبنان، 1400هـ.

73. الهرّامة، عبد الحميد عبد الله، مراجعة وتقديم: ***أعمال ندوة التواصل الثقافي بين أقطار المغرب العربي: تنقّلات العلماء والكتب***، أيّام: 20، 23 ديسمبر 1995، كلية الدّعوة الإسلامية، الجماهيرية العظمى، طرابلس.

74. الونشريسي، أحمد بن يحي (ت914هـ)، ***المنهج الفائق والمنهل الرّائق والمعنى اللائق بآداب الموثق وأحكام الوثائق***، مطبعة الحاج الطيب الأزرق، فاس، 1298هـ (طبعة حجرية).

75. الونشريسي، أحمد بن يحي(ت914هـ)، ***المعيار المعرب عن فتاوى علماء أفريقية والأندلس والمغرب***، خرّجه جماعة من الفقهاء بإشراف: محمّد حجّي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1401هـ/1981م.